جامعة محمد بوضياف - المسيلة
سلسلة الكتب الأكاديمية
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

تاريخ الحركات المذهبية في الغرب الإسلامي

أ.د : عبد الغني حروز - قسم التاريخ

ISBN: 978-9931-9919-2-2

نوفمبر 2022

جامعة محمد بوضياف المسيلة

سلسلة الكتب الأكاديمية

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

تاريخ الحركات المذهبية

في الغرب الإسلامي

أ.د/ عبد الغني حروز

قسم التاريخ

نوفمبر 2022

ISBN:978-9931-9919-2-2

بسم الله

الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: تاريخ الحركات المذهبية بالغرب الإسلامي

اسم المؤلف: أ.د/ عبد الغني حروز.

سلسلة الكتب الأكاديمية لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة محمد بوضياف المسيلة

طبعة أولى: 09 نوفمبر 2022 / **15** ربيع الثاني 1444هـ

ردمك: 978-9931-9919-2-2

عدد الصفحات: 123صفحة

الناشر: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة محمد بوضياف المسيلة

إيميل: https://www.univ-msila.dz

العنوان: حي إشبيليا- جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر.

الأراء الواردة في الكتاب تعبرعن أراء صاحبها

جميع الحقوق محفوظة

إهداء

إلى أبنائي

فلذة الكبد وقرة العين

عمران...كمال.....روان.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
Université de Mohamed Boudiaf à M'sila

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة المكلفة بما بعد التدرج
والبحث العلمي والعلاقات الخارجية
Tél / Fax : + 213 35 35 30 48

Faculté des sciences humaines et sociales
Vice Dayenne Chargé de la Post- Graduation, de la
Recherche Scientifique et des Relations Extérieurs
Tél / Fax : + 213 35 35 30 48

رقم : ك ع ا ا | ن ت ب ع | ...ب.ا.. | 2019 | المسيلة في : 11 جوان 2019

مستخرج من محضر المجلس العلمي للكلية
لجلسة يوم 2019/05/26-
بخصوص الموافقة على المطبوعة البيداغوجية

اجتمع المجلس العلمي للكلية في دورته العادية بتاريخ: **26 ماي 2019** ووافق على المطبوعة البيداغوجية :

للأستاذ (ة): حروز عبد الغني

عنوان المطبوعة: **الحركات المذهبية في الغرب الإسلامي.**

الفئة المستهدفة : موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر تخصص تاريخ الغرب الإسلامي.

ورود تقارير الخبرة إيجابية

ملاحظة: سلمت هذه الشهادة بطلب من المعني لاستعمالها فيما يسمح به القانون .

رئيس المجلس العلمي للكلية

د. لبيش صالح

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE RECHERCHE SCIENTIFIQUE

université Mohamed Boudiaf – M'sila
Vice Rectorat de la Formation Supérieure de Troisième Cycle, L'Habilitation Universitaire ,la Recherche Scientifique et la Formation Supérieur de Post-Graduation

جامعة محمد بوضياف –المسيلة
نيابة مديرية الجامعة للتكوين في الطور الثالث التأهيل الجامعي والبحث العلمي و التكوين العالي فيما بعد التدرج

وثيقة اثبات الدروس على الخط(Cours Online)
(خاصة فقط بالاساتذة الدائمين لدى جامعة المسيلة)

كلية/معهد: العلوم الانسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

اللقب: جرون الاسم: عبد الغني

التخصص: Spécialité : التاريخ الوسيط

عنوان المطبوعة: Intitulé de Polycopier محاضرات في مقياس الحركات المذهبية في المغرب الاسلامي

تأشيرة مسؤول الموقع الالكتروني للكلية /المعهد(ختم و توقيع):

الأستاذ: يوسف جفاولي
نائب العميد المكلف بما بعد التدرج
و البحث العلمي و العلاقات الخارجية

تأشيرة مدير مركز الشبكات و أنظمة الاعلام – الموقع الالكتروني للجامعة -- (ختم و توقيع):

مسؤول مركز الأنظمة و شبكة الاعلام
و التعليم المتلفز و التعليم عن بعد
لخضاري عبد الله

حرر بـ: المسيلة في: 2019.07.03

ملاحظة:- هذه الوثيقة خاصة بالأساتذة المناقشين للدكتوراه ولا يمكن استلام الشهادة إلا بعد تقديم هذه الاستمارة.

بطاقة التواصل و معلومات المقياس:

الكلية: كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

القسم: التاريخ

المستوى الدراسي:السنة أولى ماستر، تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

السداسي: الأول

اسم الوحدة: وحدات التعليم الأساسية

اسم المادة: الحركات المذهبية في الغرب الإسلامي

الرصيد: 05

المعامل: 02

الحجم الساعي: 45 ساعة (محاضرة و تطبيق)

اسم و لقب الأستاذ: عبد الغني حروز

البريد الإلكتروني: hrouzabdelghani@univ-msila.dz

أهداف التعليم: (*ذكر ما يفترض على الطالب اكتسابه من مؤهلات بعد نجاحه في هذه المادة، في ثلاثة أسطر على الأكثر*)

- التعرف على الحركات المذهبية التي انتشرت ببلاد الغرب الإسلامي وتفاعلاتها التي أدت في الأخير إلى سيادة المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية والسلوك الصوفي.

المعارف المسبقة المطلوبة: (وصف *تفصيلي للمعارف المطلوبة والتي تمكن الطالب من مواصلة هذا التعليم، سطرين على الأكثر).*

- تمكين الطالب من الربط بين الوقائع السياسية ومنطلقاتها المذهبية، وما ترتب عنها حراك فكري.
- تهدف هذه المادة إلى تعريف الطالب بالتيارات الفكرية والمذهبية التي عرفتها بلاد المغرب والأندلس، والتي كانت في غالبها وافدة من المشرق الإسلامي، مما يسمح له بتكوين خلفية معرفية يستطيع من خلالها تفسير العديد من المظاهر السياسية والاجتماعية.

محتوى المادة: (إجبارية تحديد المحتوى المفصل لكل مادة مع الإشارة إلى العمل الشخصي للطالب)

- بعثة الفقهاء العشرة ودورها في انتشار الاسلام بعد الفتوحات.
- انتشار المذهبين الصفري والاباضي ببلاد المغرب (الدعوة، الثورة، الدولة)
- المعتزلة ببلاد المغرب.
- المذهب الإسماعيلي من الدعوة إلى الدولة.
- المذهب المالكي (دخوله وانتشاره ونضاله ضد المذاهب الأخرى)
- المذهب الظاهري ببلاد المغرب.
- المذهب الموحدي.
- العقيدة الأشعرية وانتشارها ببلاد المغرب

طريقة التقييم: مراقبة مستمرة، امتحان....إلخ (يُترك الترجيح للسلطة التقديرية لفريق التكوين)

- امتحان كتابي في نهاية السداسي، أعمال موجهة.
- تقويم النظري على مستوى المحاضرات (**امتحان كتابي في نهاية السداسي**) والتقويم المستمر للأعمال الأعمال الموجهة.

المراجع: (*كتب، ومطبوعات ، مواقع انترنت*، إلخ)

- ابن خلدون، ترجمان العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات محمد عليّ بيضون، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت 1424ه/2003م.
- ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب
- المالكي، أبو بكر عبد الله (توفي في القرن 5ه/11م)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسائهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحققه بشير البكوش، وراجعه محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1403ه/1983م.
- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة.
- القاضي النعمان، المجالس والمسارات.
- ابن الصغير المالكي (ق3ه/ 10م)، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب، بيروت، 1986م.
- ابن فرحون المالكي (ت 799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العربية، بيروت الطبعة الأولى، 1996.
- البغدادي عبد القاهر (ت 429ه) الفرق بين الفرق، محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة بيروت، بدون تاريخ.
- البغدادي عبد القاهر، كتاب الملل والنحل، تحقيق ألبير نصري نادر، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، الطبعة الثانية 1983.
- التنبكتي أحمد بابا (ت 1036هـ)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج – طبع على هامش كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون اليعمري (ت 799هـ) – دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- الدرجيني (ت 670ه)، كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاّي، مطبعة البعث، قسنطينة، بدون تاريخ.

- الشاطبي (ت 790هـ)، الموافقات في أصول الأحكام، (مجلدان – أربعة أجزاء)، تحقيق محمد حسنين مخلوف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مكان وتاريخ الطبع غير مذكورين.
- الشماخي (ت928هـ/1522م)، السير، تحقيق محمد حسن، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2009م.
- الشهرستاني (ت 548هـ)، الملل والنحل (ثلاثة أجزاء)، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، 1968. [والجزء الأول والثاني ضمن مجلد واحد، تحقيق أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، 1994.
- القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ودار مكتبة الفكر، طرابلس (1965م).
- 2-المراجع:
- مصطفى الهروس، المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث الهجري نشأة وخصائص، ط(1418هـ/1997م)، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المملكة المغربية.
- ابن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة (د.ت).
- نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري-الحادي عشر الميلادي، تبر الزمان، تونس(2004م)
- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1978.
- نسالم حميش، التشكلات الأيديولوجية في الإسلام (الاجتهادات والتاريخ)، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1993
- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1978.

- مجدوب عبد العزيز، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، دار ابن سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2008م.

- جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د/ط، 1984م.

- روجي إدريس الهادي، الدولة الصنهاجية- تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1999م.

- بوبة مجاني، النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي.

- محمد أحمد عبد المولى : القوى السنية ببلاد المغرب، جزئين ،دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ،1985.

- الغبريني: عنوان الدراية.

- محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ،دار الثقافة ،1985.

- نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الاسلامي ،منشورات تبر الزمان ، تونس ، 2004.

/

+

مدخل

سار المسلمون على نهج الرّسول صلّى الله عليه وسلم[1]. وكانوا يقتفون أثره في الأقوال والأفعال، فكانت الأمّة لحمة واحدة تحكمها كلمة التّوحيد ولكن بعد وفاة الرّسول صلّى الله عليه وسلم دخل الكلّ في حيرة من أمرهم حول تعيين الخليفة، فمن سيحمل لواء ونهج الرسول صلى الله عليه وسلم في تسير شؤون هذه الأمة ؟

اجتمع المهاجرون والأنصار في سقيفة بني ساعدة لتعيين خليفة رسول الله ρ، وهنا بدأت الاحتدامات والمجادلات بين كل من المهاجرين والأنصار، خصوصا أنّ المهاجرين يرون أنّهم الأحق بالخلافة نظرا لمكانتهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما كاد الأنصار يعيّنون سعد ابن عبادة[2] خليفة للرّسول بلغ الخبر أبو بكر الصديق[1]رضي الله عنه، فأتاهم مسرعا و معه عمر ابن

---

[1] – **محمد صلى الله عليه وسلم (عام الفيل–11هـ/571–632م)**: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، و أمه آمنة بن وهب من بني زهرة، ولد بمكة و بها بعث نبيا و رسولا للعالمين و عمره أربعين سنة، دعا إلى ديانة التوحيد الإسلام، توفي و عمره 63 سنة بعدما أكمل الرسالة و أتم الدين الذي بعث به، ينظر: أبو محمد عبد الملك ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا و آخرون،ج1، ط2،تراث الإسلام، القاهرة،ب.ت،ص01، 02؛ محمد ابن إسحاق بن يسار المطلبي المدني: السيرة النبوية،تحقيق أحمد فريد المزيدي،ج1،ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2004،ص17 و ما بعدها؛المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي أبي الفدا: المختصر لأخبار البشر،تحقيق محمد زينهم محمد عزب و آخرون، تقديم حسين مؤنس،ج1،ط1،دار المعارف،مصر،1998،ص–ص:142–188؛أكرم ضياء العمري:السيرة النبوية الصحيحة،ج1،مكتبة العلوم و الحكم، المدينة المنورة،1994،ص:90، 91؛ صفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم،وزارة الاوقاف و الشؤون الاسلامية، قطر،2007،ص47 و ما بعدها.

[2] – هو سعد بن عبادة بن ديلم بن حارثة بن أبي حزيمة وقيل حارثة بن حزام بن حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي،كان نقيب بني ساعدة وكان حينها في الأنصار وهو صاحب راية الأنصار في المشاهد كلها (ت15هـ).ينظر: أبي الحسن على بن محمد ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة،ج2،دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ت)،ص203.

الخطاب [2] رضي الله عنه وعبيدة ابن الجراح[3]، فقال: "ما هذا فقالوا: منّا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر منّا الأمراء و منكم الوزراء".[4]

وفي هذه الأثناء قام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بمبايعة أبي بكر الصّديق، وبايعه الناس في المسجد إلا فئة قليلة من آل البيتأما علي رضي الله عنه [5] فتأخرعن مبايعته بسبب انشغاله بدفن الرّسول صلى الله عليه وسلم ، وهناك مجموعة من الناس لم تبايع أبا بكر الصديق، وهذه الفئة هي التي ستنحرف عن مبادئ الدّين والعقيدة و تكون سببا في الإفتراق و التشتت.[6]– غير أنه يجب أن نشير أن هذا كذب و افتراء على صحابة النبي ص و آل بيته فالمتفق عليه أنهم بايعوه كلهم إلا سعد بن عبادة فتخلف ثم بايعه–.

---

[1] –هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، التميمي القرشي هو أول الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة ،وهو وزير النبي صلى الله عليه وسلم ورفيقه عند هجرته إلى المدينة المنورة توفي سنة 13هـ.أنظر:ابن الأثير: أسد الغابة ،ج3،ص310؛ أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة، مكتبة العبيكان، المدينة المنورة،1414هـ،ص–ص:71–74.

[2] – هو عمر بن خطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح، من بني عدي بن كعب، القرشي اسلم بعد أربعين رجلا واحدا عشر امرأة ،كان شديدا على المسلمين وزاهدا متواضعا وهو ثاني الخلفاء الراشدين قتل سنة 23هـ.ينظر : ابن الأثير : أسد الغابة ،ج3، ص64.؛ أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة،ص–ص:75– 79.

[3] – هو أبو عبيدة ابن الجراح عامر بن عبد الله بن الجراح بن كنانة بن عدنان القرشي المكي ,شهد له النبي صل الله عليه وسلم بالجنة وسماه أمين الأمة ,قتل يوم الجمل .ينظر :شمس الدين احمد بن عثمان الذهبي :سير أعلام النبلاء، تحقيق:شعيب الأرناؤوط ،ج1،ط2،مؤسسة الرسالة،1982م ,ص13.

[4] – ابن جرير أبي جعفر الطبري:صحيح وضعيف الطبري،تحقيق محمد بن طاهر البرزجي، ج8،دار ابن الكثير، بيروت ،2007،ص15.

[5] – هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، القرشي الهاشمي.ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أول الناس إسلاما (ت 40هـ) في رمضان.ينظر: ابن الأثير: أسد الغابة،ج3،ص588؛ أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة،ص–ص:86– 92.

[6] – أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني:الملل و النحل، تصحيح و تعليق أحمد فهمي محمد، ج1،ط2،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان،1992،ص13.

تجاوز المسلمون هذا الخلاف السّياسي وبقوا مجتمعا واحدا متماسكا، فهذا الخلاف لم يؤدّي حينها لأيّ شقاق ولا نزاع ولا تفرّق، و لم تظهر أيّة أحزاب بل بقي المسلمون أمّة واحدة[1].

ولكنّ رغم تجاوز هذا الخلاف عمليا إلا أنّه بقي في الأذهان و العقول وبقي في صدر آل البيت حرقة و امتعاضا، لأنهم شعروا بأنّ الآخرين سلبوا منهم حقّهم المسلم به، كما تبيّن ذلك في الكثير من الأحاديث التي رواها الشّريف الرّضي في نهج البلاغة، من قول علي لما زعموا على بيعة عثمان حيث قال: " لقد علمتم أني أحق الناس بها من غيري، والله لا أسلمن ما سلمت أمور المسلمين، و لم يكن جورا إلا علي خاصة التماسا لأجر ذلك و فضله و زهده فيما تنافستموه من زخرفه و زبرجه "[2]

وتجدر بنا الإشارة إلى أن المتمعن في هذا الحديث يجد أنه كلام مغلوط؛ وهذا استنادا لآراء أهل السنة وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيميّة بعدم صحّة نسب هذا الحديث لعليّ بن أبي طالب، وذلك استنادا لحجج وبراهين، أهمّها عدم وجود سند لهذا الحديث المروي عن علي رضي الله عنه ،كما أنّ مؤلّف كتاب نهج البلاغة هو محمّد بن الحسين بن موسى الذي تلقّبه الطّائفة الإثناعشرية بالشّريف الرّضي، والذي كان موجودا بعد علي رضي الله عنه بما يقارب من أربعمائة عام.[3]

وكما يرى أهل السّنة أنه يوجد في كلام البيان والتّبيين– قام الشريف الرضي بدس قصص و روايات من البيان و التبيين و نسبها كأحاديث لعلي رضي الله عنه–، أنّ هذا الحديث قد أُسقط أصلا من ناحية الإسناد[4]، فهم يرون أنّ هذا الكتاب مكذوب على الإمام علي لأنّ فيه السّب الصريح والشّتم لعلي رضي الله عنه[5].

---

[1] – سعد رستم : الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات، ط1، أنوار للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء،2008م،ص.ص:26.25.

[2] – الشريف الرضي: نهج البلاغة من كلام علي بن أبي طالب،تحقيق:صبحي الصيالح،(د.ن)،(د.م)،(د.ت)،ص102.

[3] – أبي العباس تقي الدين ابن تيمية:منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق:محمد رشاد سالم، ج7، (د.ن) (د.م)، 1996،ص96.

[4] – المصدر نفسه،ج8،ص،ص:56.55.

[5] – أبي عبد الله شمس الدين الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال،ج3، تحيق:محمد بركات،دار الرسالة العلمية،(د.م)،2009،ص124.

بعد تولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة عين– بعد استشارة الصحابة– بعده مباشرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، و يليه عثمان ابن عفان رضي الله عنه[1]، فهذا الأخير كان معروفا بالحياء و الحلم و العدل و التواضع، و قد كان تعيينه بعض أقاربه من –بني أمية– في مناصب الدولة أثار حفيظة بعض الرعية، فلم تخمد نار الثورة في نفوسهم، حتى قتلوه سنة (35هـ /655م).[2]

وحين تولى علي رضي الله عنه الخلافة كان على علم بهذا الحدث فأراد عزل معاوية ابن أبي سفيان[3]–حاكم الشام– لكن هذا الأخير رفض و طالبه بالاقتصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه فجرت بينهما حروب، منها معركة صفين.[4] التي نتج عنها في الأخير حزب الخوارج[5] ،الذي شقّ أصحابه عصى الطاعة في وجه علي ومعاوية عند التحكيم، واعتصموا بأن "لاحكم إلا لله "،

---

[1] – عثمان بن عفان بن أب العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، الأموي القرشي ثالث الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، من السباقين للإسلام يكنى بذو النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات الرسول صلى اله عليه وسلم استشهد سنة35هـ وعمره 82سنة دفن بالبقيع بالمدينة المنورة.ينظر: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل و الملوك، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي،ج3، ط1، دار الكتب العلمية،بيروت لبنان، 1987،ص74 و ما بعدها، أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة،ص–ص:80–85.

[2] – إن تعيين عثمان رضي الله عنه أقاربه ولاة ليس بحرام، فلا يوجد نص سواء في نصوص القرآن الكريم أو السنة النبوية يحرم على الحاكم إسناد الإمارة لأقاربه،ثم أن عثمان رضي الله عنه لم ينفرد عن الخلفاء الراشدين بتعيين أقاربه ولاة له، فقد أسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه الإمارة لأقاربه، و لأناس مطعون فيهم. للمزيد ينظر: خالد كبير علال: الثورة على سيدنا عثمان بن عفان–دراسة في أسبابها الظاهرة و الخفية–،ط1،دار البلاغ للنشر و التوزيع،الجزائر،2003،ص6 و ما بعدها.

[3] – معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي من أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام، وأحد كتاب الوحي، و أول الخلفاء في دولة بني أمية، توفي سنة60هـ.ينظر:ابن الأثير.: أسد الغابة،ج7، ص281.

[4] – **صفين**: موقع بقري الرقة على شاطئ الفرات من غربيها، و هي معركة وقعت بين جيش علي بن أبي طالب وجيش معاوية بن أبي سفيان سنة(36هـ/657م) بعد موقعة الجمل بسنة تقريبا وعندما استلم علي الحكم امتنع معاوية و أهل الشام عن مبايعته فأصر عليا الأمر بعزله(أي معاوية) وجرت لمدة تسعة أيام.ينظر:الطبري: تاريخ الأمم والملوك،ج3،ص161و ما بعدها؛ أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة،ص462.

[5] – من الأحزاب التي خرجت عن الأمويين وكانوا من أشياع علي رضي الله عنه ثم خرجوا عليه،وسنتطرق إلى التعريف بالخوارج بالخوارج في المبحث القادم.ينظر:حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي،ج2،دار الجليل،القاهرة،1957،ص8.

فحاربهم علي بعد أن يئس من رجوعهم إلى الهدى، وهزمهم في موقعة شهيرة هي موقعة النهروان[1] وقتل منهم كثيرا فزادتهم هذه الهزيمة حقدا على علي حتى دُبرت مكيدة لقتله، واستعانوا في ذلك بعبد الرحمن بن ملجم سنة(40هـ/661م) هاته السّنة التي تعتبر سنة معلميّة غيّرت مجرى التّاريخ الإسلامي، وتفرّعت منها كل المذاهب والفرق(أهل السنة، الخوارج، الشيعة)، والتي مازالت إلى يومنا هذا.[2]

[1] – **النهراون**: هي إحدى المعارك الإسلامية وقعت سنة(37هـ/658م) بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبين الخوارج و النهروان موقع بين حلوان وبغداد.انتهت هذه المعركة بانتصار علي ولم ينجوا من الخوارج إلا أربعين شخصا.ينظر:الطبري:تاريخ الأمم والملوك،ج3، ص212 و ما بعدها؛ أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة،ص479.

[2] – عبد العزيز المجدوب:الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية،ط1، دار سحنون للنشر و التوزيع،تونس،2008 ،ص32و ما بعدها.

المحاضرة رقم :01

بعثة الفقهاء العشرة ودورها في انتشار الإسلام بعد الفتوحات.

تمهيد:

بعد أن استكمل الفاتحون فتح بلاد المغرب عسكريا ،وبعد أن دانت لهم البلاد والعباد رغم ذلك فإن المغاربة لم يفهموا بعد حقائق الإسلام وشرائعه ولم يتعمقوا في الأحكام بالشكل الكافي ،لذا فإن جميع الحملات كانت تركز على الفتح العسكري ،إلا من كان من بعض المجهودات التي قام بها الفاتحون الأوائل و ومن صحب الجيش الفاتح من بعض الصحابة والتابعين والقراء ، إلا أنها لم ترقى إلى المستوى المطلوب ،ولم تحقق رغبات المغاربة ، وحتى نهاية القرن الأول هجري لا يزال الإسلام سطحيا في قلوبهم فرغم جهود الولاة لنشر الإسلام ولتمكين سلطة الدولة الإسلامية فإن الخلفاء أيضا لم يتخلفوا عن دعم الولاة والاهتمام بالبلاد المغربية ، وأشهر هؤلاء الخلفاء هو : عمر بن عبد العزيز (9هـ/100هـ) الذي كان يريد أن يعم نور الإسلام ، وأن تعمر به قلوب الناس وتضاء بصائرهم بهداه ،فقام بإرسال عشرة فقهاء ،عرفت في التاريخ المغربي بالبعثة العمرية سنة 100 هـ –718م و تبدأ قصة هذه البعثة بتعيين واختيار إسماعيل بن عبيد الله ابن أبي المهاجر على بلاد المغرب واليا .[1]

–التعريف بالبعثة العلمية :

وهي عبارة عن مشروع دعوي تربوي علمي يتكون من العشرة الفقهاء الذين أرسلهم الخليفة عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى للهجرة إلى افريقية و أراد من خلال هذه البعثة فتح العقول لا فتح الأقاليم و إحياء القلوب و تطهير النفوس الشعوب الجديدة التي دخلت الإسلام من البربر و إرشادهم إلى الشريعة الإسلامية السمحة و تعاليمها ، وكان هدف هذه البعثة هو إشاعة الرشد وبث العلم و التفريق بين الحلال والحرام والحرص على التآخي و المساواة.[2]

---

[1] – ابن الجوزي: سيرة و مناقب عمر ابن عبد العزيز الخليفة الزاهد،ط1، دار الهلال، بيروت،1985،ص–ص،107-121

[2] - عبد الرحمن ابن خلدون:كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر،المطبعة الأزهرية،ج1 ،ص136.

2– التعريف بالفقهاء العشرة :

وهم العلماء العشرة الذين اختارهم الخليفة عمر بن عبد العزيز لهذه المهمة الدعوية ، و المتأمل في أصل هؤلاء يجدهم من قبائل مختلفة بعضهم من العرب وبعضهم من العجم ، يجمع بينهم معتقد واحد و المعرفة عميقة بالفقه و الدين وقد وقع الخلاف في ضبط أسمائهم بين أبي العرب و الدباغ و ابن عذارى و المالكي الذي ضبطت عند الأسماء العشرة كالآتي :

1- أبو عبد الرحمان :عبد الله بن يزيد المعافري الحبلي(ت100هـ) رئيسها.

2- أبو مسعود : سعد بن مسعود التجيبي .

3- أبو الجهم : عبد الرحمان بن رافع التنوخي (ت113هـ).

4- أبو تمامة : بكر بن سوادة الجزامي (ت128هـ).

5- أبو سعد : جعثل بن عاهان الرعيني القتباني (ت115هـ).

6- إسماعيل بن عبيد الله الأنصاري أبي المهاجر المخزومي(ت132).

7- جبان بن أبي جبلة القرشي (ت125هـ).

8- طلق بن جابان أو جعبان الفارسي .

9- وهب بن حي المعافري .

10– أبو عبد الحميد :إسماعيل بن عبيد الله الأنصاري ابن أبي المهاجر (ت122هـ).[1]

[1] – أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم: طبقات علماء افريقية،دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ب.ت،ص84؛ الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان،تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، و محمد ماضور،مكتبة الخانجي (مصر) و المكتبة العتيقة (تونس)،1972.ج1–139؛ ابن عذاري المراكشي أبو العباس احمد بن محمد المراكشي:البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ،تحقيق:ج.س.كولان و إ. ليفي بروفنسال، ط3،دار الثقافة، بيروت، لبنان،1983،ج1،ص148؛ المالكي أبي بكر عبد الله بن محمد: رياض النفوس، تحقيق :بشير البكوش، مراجعة: محمد العروسي المطوي،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983،ج1،ص–ص،102–115.

3– أهداف البعثة العمرية: كان عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) يهدف من خلال إرسال هذه البعثة العلمية إلى :

- ربط الناس بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، ويكون ذلك من خلال فتح الكتاتيب و الجمعيات و حلقات تحفيظ القرآن و تجويده وتفسيره .
- توضيح خطر العقائد المنحرفة وتبيين عقيدة أهل السنة والجماعة
- تعليم الناس الحلال و الحرام .
- إشاعة الرشد و تحقيق التآخي و المساواة بين الناس .
- وضع خطة بعيدة المدى لتعليم اللغة العربية بين أوساط القبائل البربرية حتى يسهل عليها فيما بعد فهم القرآن و السنة و التعامل معها.
- تكوين علماء ربانيين لمواصلة مسيرة الفقهاء العشرة ، وذلك بتعليمهم الفقه السليم و طرق الدعوة و التجرد للإشراف على التربية و التعليم.[1]

4– استراتيجياتها و وسائلها:

تذكر المصادر الغربية أن البعثة العمرية وعلى رأسها الوالي الجديد الذي كان خير أمير و خير وال .كان حريصا على دعاء البربر للإسلام ، و كان هؤلاء الدعاة من خيرة الفقهاء و المحدثين ، حيث انتشروا بين البربر حاملين معهم مشروع امة و خطة واضحة قائمة على تعليم الناس أصول دينهم و تبصيرهم بقواعده و أحكامه ، أقام كثير منهم في مدينة القيروان وغيرها من المدن المغربية لم يكن الأمر هينا أو سهلا بل كان فيه من الصعوبات و العقبات ما يثبط العزائم و النفوس و تثقل الهمم لكن تصميم هؤلاء تجاوز كل شيء نتيجة بعد نظرهم وخطتهم المحكمة و التي يمكن تلخيصها في:

[1] – ابن خلدون: العبر، ج1،ص136 و ما بعدها، عبد العزيز المجدوب:الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية،ط1، دار سحنون للنشر و التوزيع،تونس،2008، ص23.

– **تأسيس الكتاتيب**: كان أول عمل قام به هؤلاء الثلة من العلماء ، هو أن يختط كل واحد منهم كتابا لتعليم صغار الطلبة مبادئ اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم وهذه المرحلة تسمى بالمرحلة الإعدادية ، فالتركيز على جيل جديد لا يعرف إلا العربية و القرآن و السنة كفيل بتكوين الطبقة الأولى التي ستحمل المشعل و تواصل المسيرة لنشر الإسلام بين القبائل و القرى و المدن.[1]

– **تأسيس المساجد**: لقد كانت حطة العمل تقتضي بتأسيس مسجد بجوار كل كتاب ولكل فرد من هذه البعثة ،فمعظم هؤلاء التابعون يقيمون في القيروان وكذلك كثر بناء المساجد التي يعلمون فيها الناس قواعد الإسلام و علومه و اللغة العربية و يعتبر المسجد بمثابة المدرسة تعليم العالي كانت تقام فيه دروس العلمية و الشروح وكانت طريقة التحلق السمة البارزة في العملية التعليمية ،حيث كان البربر يغدون إلى هذه المساجد و يستمعون للدروس و المواعظ التي كانت تلقى ، ويبدو أن أهل افريقية أقبلوا على الإسلام وتعلمه بنفوس راضية و مطمئنة.لقد كان المسجد المنارة الأولى التي أشع منها نور الإسلام وأعظم مسجد أدى هذا الدور بامتياز مسجد عقبة بالقيروان و منه إلى باقي المساجد بالمغرب و الأندلس ، كما كان مسجد الرباطي الذي بناه أبو عبد الرحمان الحبلي يقوم بأدوار علمية هامة ، كذلك اشتهر جامع الزيتونة الذي بناه إسماعيل بيت عبيد الله الذي اشتهر بلقب "تاجر الله"، ويمكن القول أن الحركة العلمية في القيروان وما جاورها قد نشطت نشاطا ملحوظا و أن المشهد الثقافي تحرك بوتيرة غير مسبوقة فكثرت المساجد و الكتاتيب وزاد إقبال المغاربة على إرسال أولادهم للتعلم ثقافة الدين الجديد ، وبدأت ثمار هذه البعثة تؤتى ثمارها وبدأ المجتمع المغاربي يتفاعل بشكل مستمر مع الثقافة الوافدة . لقد أحدثت البعثة العمرية هزة نفسية و ثورة ثقافية منذ بداية القرن2هـ فلقد كانت لهذه البعثة دورا مفصليا و

[1] – القاضي عياض: ترتيب المدارك،ط1، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، المملكة المغربية،1983،ج3،ص–ص،65–110، المالكي: المصدر السابق،ج1،ص254؛ الرقيق القيرواني: تاريخ افريقيا و المغرب،تنح:محمد عزب،دار الفرجاني،1994،ص247.

أثرا تاريخيا من خلال نشاط غير طبيعي و الذي تميز بديناميكية غير مسبوقة لأن سير الخطة كانت تقضي بنشر الإسلام و اللغة العربية في آن واحد و هو ما سهل من مهمتهم ورسالتهم.[1]

5- أثر البعثة العمرية على بلاد المغرب :

1- إعداد و جيل جديد لا يعرف إلا العربية و القرآن الكريم و السنة كفيل بتكوين الطبقة الأولى التي ستحمل المشعل وتواصل المسيرة في نشر الإسلام بين القبائل في القرى و المدن و هذا الذي حدث(نخبة من العلماء:البهول بن راشد/علي بن زياد التونسي/عبد الله بن عمر بن غانم/أسد بن الفرات/عبد الله فروخ....)

2- أنهم حفظوا كتاب الله لأهل البربر و نشروا السنة كما فصلوا لهم أحكام الشريعة و بينوا العقيدة الصحيحة.

3- أنهم وضعوا الأسس التي بنيت عليها هوية المغاربة من خلال ربطهم بالإسلام كدين و الحفاظ على ثقافتهم الأمازيغية التي لا تتنافى مع الإسلام.

4- أنهم وضعوا الأسس الأولى للحركة العلمية التي بنيت عليها الحياة الثقافية في البلاد والتي انطلقت وعمت كل ربوع الغرب و امتثلت في الأندلس و افريقية.

5- أنهم علموا المغاربة الإسلام كما أنزل بعيدا عن الفرق الكلامية و المذاهب العقدية المنحرفة ،وحتى التيارات السياسية المتحربة التي ظهرت في المشرق منذ خلال ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة.

6- قاموا بنشر اللغة العربية و بنوا قواعدها و علموها للكبار و الصغار ، فكانت هذه العملية قاعدة للتعريب التي نشرها فيما بعد المغاربة أنفسهم في القبائل و الغرب.

[1] – القيرواني: المصدر السابق،ص24؛ ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي،ط3،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1987،ص94.

7- أنهم سنوا سنة حميدة تمثلت في بناء الكتاتيب و المساجد فصار هذا تقليدا راسخا فيما بعد عند المغاربة .[1]

8- أنهم رسخوا في المغرب مبدأ احترام و طاعة الولاة الأمور ،وفق الضوابط الشرعية و القواعد المرعية حتى تستقيم الأمور و يسود الأمان.

9- أنهم أسسوا للدراسات الشرعية و اللغوية في المغرب و صارت القيروان منارة علمية ومركز إشعاع حضاري وثقافي كبير.

10- أن هؤلاء الفقهاء ساروا على سياسة واضحة ، بحيث وطدوا صلات الإخوة و التعاون بين العرب و البربر ، فصار البربر يعتزون بدينهم و لغتهم العربية لأنها لغة القرآن و لغة الحضارة.

11- أنهم سعوا إلى تطهير المعتقدات و إزالة ما علق بها منذ أدران الدعوة الخارجية ومن أمثلة ذلك رسالة رواها المالكي في رياض النفوس لثلاثة من هؤلاء العلماء كتبوها ليقتدي بها المسلمون ويعتقدوا ما فيها ،لما ثار جماعة من الخوارج عن عهد حنظلة بن صفوان الكلبي.

12- أكبر أثر تركته هذه البعثة ، بل خلاصتها أنه بفضل الله ثم بفضل هذه البعثة أسلم من بقي من البربر و انسدل ستار افريقية التائهة الضائعة ، و انبلج عليها صبح جديد به تتميز الحق عن الباطل.[2]

و في هذا الصدد يقول محمد الفاضل ابن عاشور :" ... لما استهل القرن الثاني بولاية خليفة صالح فقيه قدوة في سلوكه و علمه ،و هو من الخلفاء الراشدين و ثاني العمرين {عمر بن عبد العزيز} رضي الله عنه ، دخل على المجتمع الإسلامي حافز جديد من حوافز اليقظة النفسية و الاجتماعية أقيم له معلم من معالم الهدى الإسلامي يجتمع إليه و يستصحب منه الهداية في مسالك الطريق

[1] – محمد مرغيت: البعثة العمرية و أثرها في توطين الإسلام و العربية ببلاد الغرب الإسلامي، مجلة الحوار الفكري،الجامعة الإفريقية، أدرار، الجزائر،ص113،

[2] – المالكي: المصدر السابق،ج1،ص103؛ المجدوب: المرجع السابق،ص23، 24

فسرعان ما أصبحت أصول الهداية الإسلامية مادة حياة المجتمع .....فأشاعوا الرشد و ثبتوا العلم و علموا الحلال و الحرام ، وحرصوا على الأمن و التآخي و المساواة ...و كان إسلام البربر نهائيا من آثار هذه البعثة العربية"[1]

المحاضرة رقم:02

انتشار المذهبين الصفري و الإباضي ببلاد المغرب (الدعوة،الثورة، الدولة)

1-2-1- التعريف بالخوارج:

لغة:

يدل على الظهور و البروز، و لهذا يقال خرجت خوارجه، أي ظهرت نجابته[2]، و يوم الخروج أي يوم العيد، و خرج فلان من العلم و الصناعة خروجا إذا نبغ، و خرجت السماء، أصبحت و أنقشع عنها الغيم[3]،

اصطلاحا:

اختلف الباحثون في التعريف الاصطلاحي للخوارج، و مرد ذلك يرجع إلى:

– منهم من عرفهم تعريفا سياسيا عاما، و اعتبر الخارج على الإمام المتفق على إمامته الشرعية خروجا من أي زمن كان.[4]

و في هذا الصدد يقول **الشهرستاني**: " **كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين لو كان بعدهم على التابعين. لهم بإحسان و الأئمة في كل زمان.**"[5]

---

[1] – محمد الفاضل ابن عاشور:أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي ،مكتبة النجاح ،تونس،(ب.ت)، ص10.

[2] – محمد يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج1، دار الجيل، بيروت، د.ت، ص192.

[3] – محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة،ط1،دار النفائس، بيروت، 1992، ص157.

[4] – غالب بن علي عواجي: فرق معاصرة، ج1، ط4، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، 2001، ص227.

[5] – الشهرستاني:الملل و النحل،ج1،ص 114.

و منهم من خصهم بالطائفة الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه، قال **الأشعري**:" **و السبب الذي سموا له خوارج؛ خروجهم على علي بن أبي طالب**"[1]

و قد زاد **ابن حزم** بأن اسم الخارجي **يلحق كل من أشبه بالخارجين على الإمام علي أو من شاركهم في أي زمن.**

و هو بذلك يتفق مع تعريف الشهرستاني.[2] بالمقابل يتفق كثير من الباحثين على أن الخوارج هم " **الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حروراء [3] و النهروان.**

و من انتمى لهم إليهم فيما بعد "[4] و هذا أشهر في تعريف الخوارج، و هو بالأحرى تعريف فرقي تاريخي، و يفهم من ضم أهل النهروان مع من أطلق عليهم الخوارج كالأزارقة و النجدات و غيرهم ممن ينتسب إلى النهروان في نسق واحد أن الجامع بينهم أمران، الخروج على الأئمة،و تكفير المخالفين لهم.

1-2-2- نشأة الخوارج في المشرق الإسلامي:

ظهرت حركة الخوارج في المشرق الإسلامي بعد معركة **صفين** التي وقعت على شاطئ الفرات في سنة (**37هـ/657م**) بين الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه و معاوية بن أبي سفيان، حيث

---

[1] – أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري: مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين، تحقيق محمد محي الدين، تعليق أحمد فهمي،ج1،ط2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1992،ص 156.

[2] – ابن حزم: الفصل في الملل و الأهواء و النحل ،ج4،ص 157.

[3] – **حروراء**: وضبطه ياقوت الحموي بفتح الحاء والراء المهملتين ، وبعدهما واو ساكنة و ألف ممدودة ، وقيل : هي قرية بظاهر الكوفة . وقيل : موضع على ميلين منها نزل به الخوارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، =فنسبوا إليها . وقال ابن الأنباري : حروراء كورة .وقال أبو منصور : الحرورية منسوبون إلى موضع بظاهر الكوفة نسبت إليه الحرورية من الخوارج ، وبها كان أول تحكيم واجتماعهم حين خالفوا عليه أنظر: ياقوت الحموي بن عبد الله: معجم البلدان ،ج2 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د ت، ، ص245.

[4] – يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، مطبعة اليديني، الرباط، المملكة المغربية، 2003، ص 10 ،11 ؛ محمد بن عميرة: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص47؛ خالد كبير علال: بحوث حول الخلافة و الفتنة الكبرى، دار كنوز الحكمة، الجزائر،2009، ص229، 230؛ الأمين شريف يحي: معجم الفرق الإسلامية،ط1، دار الأضواء، بيروت 1986،ص122.

عندما أوشكت المعركة على الانتهاء – انتصرت حيلة الأموي على أمانة علي رضي الله عنه–[1] بانهزام جيش معاوية لجأ هذا الأخير إلى حيلة بارعة شتت بها جيش خصمه[2]حيث رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح و السيوف بطلب من عمر بن العاص، الذي اقترح على علي رضي الله عنه أيضا أن يرفع المصاحف هو و جيشه فوافقه و أمر جيشه برفعها و دعوا إلى إحكام كتاب الله[3] و لما تبين لعلي رضي الله عنه أن معاوية خدعهم؛ فحاولوا استئناف القتال من جديد منتظرين حكم الله قائلين " لا حكم إلا لله "، غير أن جماعة منهم اعتبرت أن قبول التحكيم جريمة كبيرة ، و طلبوا من علي رضي الله عنه أن يتوب عما ارتكب لأنه كفر عندما وافق على ذلك[4] و أنه ارتكب كبيرة كافر يجب قتله و محاربته، فعلي رضي الله عنه – في نظرهم– كن مؤمنا ، لكنه لما خضع للتحكيم صار كافرا، لأن خضوعه إلى التحكيم اعترافا لمعاوية بحقه في الخلافة، و تلك كبيرة الكبائر، لذلك وجب الخروج عليه و محاربته[5] و هنا انفصلت عنه جماعة فقد روي أن علي رضي الله عنه عندما رجع من صفين إلى الكوفة انفصلت عنه جماعة القراء– الخوارج– بمكان يعرف بحروراء، و خرجت عليه و آذنته بالحرب[6] و كان عددهم أربعة ألاف، و نظرا لخروجهم من الكوفة الكوفة قد سموا بالخوارج، أي الخارجون من المدينة التي كان فيها جيش علي رضي الله عنه أبان الهدنة، و صاروا منذ ذلك يقاتلون عليا و معاوية و حتى من يخالفهم الرأي في الحكم على خلافة عثمان و علي رضي الله عنهما من المسلمين[7]

---

[1] – أبي محمد الحسن بن موسى النوبختي: فرق الشيعة، تصحيح:هـ.رتر، مطبعة الدولة لجمعية المستشرقين الألمانية، استانبول، 1931، ص56؛ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ط2، دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1981، ص141؛أكرم ضياء العمري: الخلافة الراشدة، مكتبة العبيكان، المدينة المنورة، 1414هـ،ص464.

[2] – بن عميرة: المرجع السابق، ص47.

[3] – خالد كبير علال: بحوث حول الخلافة و الفتنة الكبرى، ص228.

[4] – الشهر ستاني: الملل و النحل، ج1، ص106، 107 ؛ألفرد بل: المرجع السابق، ص141، 142

[5] – يوسف أحنانة : تطور المذهب الأشعري، ص11.

[6] – الطبري: تاريخ الرسل و الملوك،ج3،ص202؛ خالد كبير علال، بحوث حول الخلافة و الفتنة الكبرى، ص229.

[7] – ألفرد بل: المرجع السابق، ص142.

و هذا ما دفع علي رضي الله عنه يواجههم و يدخل معهم في **معركة النهروان** في أواخر سنة(**37هـ/ 658م**) فهزموا لأول مرة على يد جيش علي رضي الله عنه، فتشتت الخوراج و استتروا و قرروا قتل علي رضي الله عنه و معاوية و عمر بن العاص، فنجحوا في قتل علي رضي الله عنه سنة 40هـ/ 660م، و واصلوا القتال ضد الأمويين في الشام، و لم يتم اخضاعهم في العراق فيما بعد إلا على يد الوالي الحجاج بن يوسف الثقفي الذي أجرى فيهم مذابح و قضى عليهم نهائيا سنة 87هـ/ 696م.[1]

و من هنا يمكن القول أن أساس مذهب الخوارج سياسي، ذلك أنهم اعتبروا أن عليا رضي الله عنه و معاوية كليهما إنما يتبعان في هذه المسألة مصلحتهما الخاصة للوصول لإلى السلطة و لا يقودهما غير الطمع في الحكم.

1–2–3– أسماء الخوارج وألقابهم:

أطلق على الخوارج طائفة من الأسماء ،منها :

الخوارج[2]:يعتبر هذا الاسم من أشهر الأسماء التي أطلقت على هذه الطائفة ،وقد غلب عليه الطابع اللغوي ،فكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجيا ،سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الائمة في كل مكان[3] وعلماء الشريعة يسمونهم بغاة[4].وقد أطلق عليهم هذا الاسم لخروجهم على علي رضي الله عنه[5].

أهل النهروان: ومن أسمائهم أهل النهروان ،لأن عليا قاتلهم هناك[6].

---

[1] – ألفرد بل: المرجع السابق، ص144؛ بن عميرة، المرجع السابق، ص48؛ خالد كبير علال، بحوث حول الخلافة و الفتنة الكبرى، ص230؛ أكرم ضياء العمري: المرجع السابق، ص481.

[2] – جاء في القاموس المحيط : " الخوارج من أهل الأهواء ، وسموا به لخروجهم على الناس "، الفيروز آبادي ،المصدر السابق ،ج1 ،ص 885.باب الجيم .

[3] – الشهرستاني ، الملل و النحل،ج1 ،ص114.

[4] – عبد المنعم الحفني:الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية ، ط1،دار الرشاد،1413هـ | 1993م ص215.

[5] – الأشعري، مقالات الإسلاميين،ج1، ص207.

[6] – تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية: الإيمان الأوسط ، تحقيق محمود أبو سن أبو يحي ، ط1 ، دار طيبة ، الرياض ، ، المملكة العربية السعودية ، 1424هـ ،ص27

الحرورية :سموا بهذا الاسم نسبة إلى حروراء ،وهي قرية بظاهر الكوفة ،انحاز إليها الخوارج لما خرجوا على علي ، فنسبوا إليها [1]

النواصب :جمع ناصبي ، وهو الغالي في بغض علي[2]،جاء في (القاموس المحيط) ما نصه : وً النواصب والناصبية وأهل النصب : المتدينون ببغض علي رضي الله عنه ، لأنهم نصبوا له أي عادوه ".[3]

الشراة : بضم الشين ، على وزن رماة وقضاة ، جمع شارٍ ، وهو من الأسماء المفضلة لدى الخوارج .وهم يفسرون ذلك على أن الشاري الذي هو مفرده الشراة ، اسم فاعل من الشراة ويزعمون أنهم سموا بذلك لأنهم باعوا أنفسهم لله تعالى على أن لهم الجنة ، وهم . كما يقولون عن أنفسهم . الذين قصدهم الله تعالى بقوله :(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ)[4].

المحكمة :جاءت هذه التسمية من خلال الشعار الذي أطلقه الخوارج بعد قبول علي رضي الله عنه بالتحكيم :«لا حكم إلا لله ، ولا حكم للرجال» [5]

1-2-4- أراء الخوارج:

كانت أراء الخوارج موحدة قبل لجوئهم إلى الأهواز سنة **64هـ/684م** منها أنهم كانوا يرون أن الخليفة لا يمكن أن يعين إلا بالاختيار الحر تقوم به جماعة من المؤمنين دون اعتبار المولد أو الأصل المكي القرشي، و هكذا عادوا إلى مبدأ الاستفتاء و الذي تقرر غداة وفاة النبي صلى الله عليه

---

[1] – البغدادي : المصدر السابق ، ص75؛ عامر النجار: الإباضية و مدى صلتها بالخوارج، دار المعارف، مصر، د.ت،ص42.

[2] – الحفني : المرجع السابق ، ص216.

[3] – الفيروز آبادي : المصدر السابق ، ج 1، ص133، فصل النون ، باب الباء.

[4] – سورة : التوبة، الآية:112.

[5] – المقريزي ، المواعظ و الاعتبار، ج3 ، ص415.

وسلم ، و عندهم الخليفة يستمر في مباشرة أعماله و مهامه ما دام مستقيما أمينا و مخلصا و حارسا للشريعة، فإن حاد عن الصواب وجب عزله أو قتله.[1]

و قالوا:" أنه لا حاجة إلى إمام[2] إذا أمكن الناس أن يتناصفوا فيما بينهم، فإن رأوا أن التناصف لا يتم إلا بالإمام، يحملهم على الحق فأقاموه جاز."[3]

و الخليفة عندهم لا يلقب إلا بـ " الإمام " أي الذي يؤم الناس جماعة المصلين و يرأس الجماعة، و يجب أن يكون مثلاً أعلى للتقوى؛ و الإمام عند الخوارج يمكن أن يكون عبداً أسود، إذا توافرت فيه شروط العلم و الخلق.

و قد كفروا أهل الذنوب فكل مؤمن يرتكب أحد هذه الذنوب يستحق ليس فقط العذاب الأبدي، بل يعد في نظر الخوارج عدواً (إلا إذا تاب و كفر عن ذنبه) بما في ذلك الخطأ في الرأي و هذا ما جعلهم يكفرون الخليفة علي رضي الله عنه لأنه قبل التحكيم، و كتاب الله واضح لا يقبل التحكيم.[4]

و اتفقوا على أن العمل جزء من الإيمان، فالإيمان ليس فقط الاعتقاد و النطق بالشهادتين، و إنما يجب أن يتم ذلك العمل بأوامر الدين كالصلاة و الصوم و الصدقة و العدل، و من آرائهم أيضا يقول شيخ الإسلام :" الخوارج هم أول من كفر المسلمين ، يكفرون من خالفهم في بدعتهم،و يستحلون دمه و ماله"[5].

و من الأمور أيضا التي خالف فيه الخوارج أهل السنة و الجماعة توحيد الأسماء و الصفات، و هم معتزلة في هذا الباب، قال الأشعري:" فأما التوحيد فإن قول الخوارج فيه كقول المعتزلة."

---

[1] – الشهرستاني: الملل و النحل ، ج1، ص 108؛ ألفرد بل: المرجع السابق، ص 142؛ بن عميرة: المرجع السابق،ص50.

[2] – هذا رأي فرقة النجدات من الخوارج.

[3] – محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، ب.ت، ص61.

[4] – البغدادي: المصدر السابق، ص73؛ أبو زهرة: المرجع السابق، ص 61، 62؛ ألفرد بل: المرجع السابق، ص 142، 143؛ بن عميرة: المرجع السابق، ص50.

[5] – تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني ابن تيمية: مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج3،مجمع الملك فهد للطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ، السعودية،1995،ص279.

و من آرائهم أيضا إنكار عذاب القبر و نعيمه قال الأشعري:" و الخوارج لا يقولون بعذاب القبر و لا ترى أحداً يعذب في قبره".

و منها أيضا الخروج على أئمة المسلمين و عدم الطاعة و الانقياد لهم قال الأشعري:" و أما السيف، فإن الخوارج جميعا تقول به و تراه، إلا الإباضية لا ترى اعتراض الناس بالسيف، و لكنهم يرون إزالة أئمة الجور، و منعهم أن يكونوا أئمة بأي شيء قدروا عليه بالسيف، أو بغير السيف"[1] كما يعتقدون أن جميع المسلمين كفار إلا من اعتقد عقيدتهم، و اتبع سبيلهم، و نهج مناهجهم، و اعتبروا أن جميع بلاد المسلمين بلاد كفر، يجب الهجرة منها، و بذلك استحلوا دمائهم، و البراء منهم، و كفروا من لم يهاجر إليهم.[2]

و من آرائهم أيضا ما ذكره الحافظ ابن حجر بقوله:" و زاد نجة على معتقد الخوارج: أن من لم يخرج و يحارب المسلمين، فهو كافر،و لو اعتقد معتقدهم."[3]

هذه مجمل اعتقاداتهم الباطلة التي خالفوا بها أهل السنة و الجماعة، و لهم أراء شاذة محلها كتب السنة و العقائد.[4]

1-2-5- فرق الخوارج:

تتعدد و تتضارب مصادر و كتب الفرق الإسلامية في تناولها الخوارج،و تختلف في تقسيم و ذكر فرقهم،بحيث من الصعوبة الوقوف على معتقدات الخوارج من واقع كتبهم نفسها لحرصهم الشديد عليها، و هي قليلة فالغالب أن مكتبات المسلمين تكاد تخلو من مؤلفاتهم[5]

و عند رجوعنا إلى كتب الفرق وجدنا اختلاف حول فرق الخوارج فمنهم من أفرد لهم عدداً كبيرا كالإمام الرازي الذي عدد لهم واحد و عشرين فرقة[1] أو ما يقرب من نصف هذا العدد عند الملطي[2] بينما جمعهم الإمام الأشعري في أربعة فحسب[3]

---

[1] – الأشعري: مقالات الإسلاميين،ج1، ص203.

[2] – الأشعري: مقالات الإسلاميين،ج1، ص204.

[3] – ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج14، ص285.

[4] – البغدادي: المصدر السابق،ص 264؛ الأشعري: مقالات الإسلاميين،ج1،ص 203؛ الشهرستاني: الملل و النحل،ج1، ص122.

[5] – علي بن الحسين الهاشمي الخطيب: وقعة النهروان و الخوارج، مطبعة الحيدري، طهران، د.ت، ص 154.

و الملاحظ على هذه الفرق أن اسم كل فرقة مأخوذ أحيانا من اسم زعمائهم الأوائل أو الكبار[4]و قد أوصلها الإمام البغدادي إلى عشرين فرقة حيث يقول: ((....إن الخوارج عشرون فرقة و هذه أسماؤها: المحكمة [5] و الأزارقة[6]، و النجدات[7] و الصفرية[1]، ثم العجاردة المفترقة فرقا منها الخازمية و

---

[1] – فخر الدين محمد بن عمر الرازي: اعتقادات فرق المسلمين و المشركين، مراجعة علي سامي النشار، القاهرة، 1938،ص- ص، 46- 51.

[2] – الملطي: المصدر السابق،ص37- 43.

[3] – الأشعري: مقالات الإسلاميين،ج1، ص101.

[4] – ألفرد بل: المرجع السابق،ص 145.

[5] – **المحكمة الأولى**: هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جرى أمر الحكمين، و اجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة و رئيسهم عبد الله بن الكواء،و عتاب بن الأعور، و عبد الله بن وهب الراسي و عروة بن حدير؛ و سموا بذلك لرفضهم تحكيم الحكمين، و مرددين كلمة ((لا حكم إلا لله))رافعين سيوفهم في الأسواق، ينظر:الملطي، المصدر السابق،ص 38؛ المقريزي: المواعظ و الاعتبار،ج3،ص415؛ البغدادي: المصدر السابق، ص73؛ عبد الرحمن بن أحمد الإيجي: المواقف في علم الكلام، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ب.ت، ص 424؛الشهرستاني:الملل و النحل،ج1،ص107؛غالب بن علي عواجي: المرجع السابق،ص231،؛ عامر النجار: الإباضية و مدى صلتها بالخوارج، ،ص42،43.

[6] – **الأزارقة**:و هي أشد فرق الخوارج تطرفا و زعيمها نافع بن الأزرق الذي كان رأيه" البراءة من سائرة المسلمين و تكفيرهم و الاستعراض و قتل الاطفال و استحلال الأمانة لأنه يراهم كفارً" و قد كتب رسالة في هذا المضمون إلى زعيمي المعارضة ابن اباض و ابن الصفار و لما قرأت على أصحابها تفرقوا فالتفت جماعة منهم حول ابن اباض فسموا اباضية، بينما التفت جماعة أخرى حول ابن الأصفر فسمو صفرية. ينظر: المقريزي: المواعظ و الاعتبار،ج3،ص415، 416؛البغدادي: المصدر السابق،ص–ص، 78– 81؛ الإيجي: المصدر السابق،ص424؛أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون ، المسمى ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة سهيل زكار، ج3، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت، لبنان، 2000،ص182؛الشهرستاني: الملل و النحل،ج1،ص111؛ ألفرد بل: المرجع السابق، ص145؛ بن عميرة محمد: المرجع السابق،ص50، 51.

[7] – **النجدات**: و هم أصحاب نجدة بن عامر الحنفي، و قيل عاصم، و هم يختلفون عن الأزارقة في كل ما سبق، و الدين عندهم أمران: الأول معرفة الله تعالى و معرفة رسله، و الثاني ما سوى ذلك الناس معذورون فيه، و أجمعت النجدات على أن لا حاجة للناس إلى إمام قط، و قد افترقت هذه الفرقة إلى عطوية(الذين نسبوا إلى عطية بن الأسود اليماني الحنفي) و فديكية(نسبوا إلى أبي فديك الخارجي أحد بني قيس بن ثعلبة) ينظر: المقريزي: المواعظ و الاعتبار،ج3،ص416 ؛ البغدادي:المصدر السابق،ص–ص،81– 84؛ الإيجي:المصدر السابق،ص424؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج3،ص182؛الشهرستاني: الملل و النحل، ج1،ص 118، 119.

المعلومية، و المجهولية و أصحاب طاعة لا يراد الله تعالى بها، و الصلتية، و الآخنسية، و الشيبية، و الشيبانية، و المعبدية و الرشيدية و المكرمية، و الخمرية، و الشمراخية، و الابراهيمية، و الواقفة و الإباضية[2] منها ما افترقت فرقا معظمها فريقان: حفصية و حداثية. فأما اليزيدية من الإباضية و الميمونية من العجاردة فإنهما فرقتان من غلاة الكفرة الخارجين عن فرق الأمة....))[3].

1-2-6- دخول و انتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي:

كان فشل الخوارج في المشرق نتيجة الاضطهادات العنيفة التي وجهت ضدهم من طرف قادة بني أمية، فالخوارج لم يستطيعوا أن يحققوا أهدافهم بسبب أن حركاتهم كانت ينقصها التنظيم السياسي، و كذا التنظيم العسكري نتيجة غياب الإعداد المسبق[4]مما سهل على الخلافة الأموية

---

[1] – الصفرية:و هي أقل الفرق تطرفا، و هم أتباع زياد بن الأصفر، و قولهم في مجمله كقول الأزارقة في أن أصحاب الذنوب مشركون، غير أن الصفرية لا يرون قتل أطفال مخالفيهم و نسائهم، و أهم أراء الصفرية تدور حول القعدة عن القتال(أي التخلف عن الخروج إلى القتال) فهم لم يكفروهم و لم يسقطوا الرجم، و قالوا: التقية جائزة في القول دون العمل، و قد انقسمت هذه الفرقة على ثلاث فرق حسب البغدادي، ينظر: البغدادي: المصدر السابق،ص–ص، 81– 84؛الإيجي: =المصدر السابق، ص424؛الشهرستاني: الملل و النحل،ج1، ص134؛ ألفرد بل: المرجع السابق،ص145؛بن عميرة:المرجع السابق،ص52؛ كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوى المعيار المعرب للونشريسي،مركز الإسكندرية للكتاب، مصر،1996، ص95.

[2] – الإباضية:هم أصحاب عب الله بن اباض، و يرى أتباع هذا التيار" أن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين" أي يحكم لهم بحكم المنافقين، فهم " كفار بالنعم و الأحكام"، لكنهم " براء من الشرك و الإيمان"، و أجازو مناكحتهم و غنيمة أموالهم من سلاحهم حلال،و ما سواه حرام، و حرام قتلهم و سبيهم في السر غيلة إلا بعد نصب القتال و إقامة الحجة، و قالوا:" إن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان فهو دار بغي، و أن مرتكبي الكبائر موحدون لا مؤمنون" ، كما توقفوا في أطفال المشركين، و جوزوا تعذيبهم على سبيل الانتقام، و تتميز هذه الفرقة بالاعتدال بالمقارنة مع الفرق الأخرى و هذا ما حقق لها انتشارا و نجاح كبير في شمال افريقية و لا يزال إلى اليوم في كل من ميزاب و عمان و زنجبار، ينظر: المقريزي: المواعظ و الاعتبار،ج3،ص417؛ البغدادي: المصدر السابق،ص 95. 96؛الإيجي: المصدر السابق، ص425؛الشهرستاني: الملل و النحل،ج1، ص131، 132؛ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون،ج3، ص182.

و أيضا: ألفرد بل: المرجع السابق،ص145؛بن عميرة:المرجع السابق،ص51، 52؛ عبد المجيد معلومي: منهج علماء الأشاعرة في تقرير العقيدة،ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،2006،ص31.

[3] – البغدادي: المصدر السابق، ص 72، 73.

[4] – موسى لقبال: المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص153؛ محمود إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب حتى منصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، المغرب، 1985،ص42.

وولاتها مهمة مناهضتها و استئصال أصولها، و ما كاد ينتهي القرن الأول الهجري اندثرت فرقتي الأزارقة و النجدات و هما من أهم فرق الخوارج[1].

و كان من الطبيعي أن تلجأ فرقتا **الصفرية و الإباضية** إلى أسلوب جديد و مغاير قوامه تنظيم الدعوة السرية[2] و بعث الدعاة في أطراف العالم الإسلامي لنشر المذهب [3]، و من هنا بدأتا التنقل بين الأمصار الإسلامية، و الهجرة إلى حيث لا تنالهم أيدي البطش و الطغيان، أي في البيئات التي ما زال مسلموها ينعمون بحياتهم الدينية في إطار البساطة المذهبية و الاتجاهات الغير المتحزبة[4].

لقد وجد الخوارج في بلاد المغرب البيئة المناسبة، و التربة الخصبة لنشر أفكارهم،و تقوية نفوذهم و صفوفهم، و بث دعوتهم، فقد كانت بلاد المغرب من أهم أقاليم الأطراف التي اتجهت إليها جهود الخوراج.[5]

وفي هذا الصدد يذهب ألفرد بل إلى قوله:" ...**و قد انجذب دعاة الخوارج إلى بلاد الشمال الإفريقي منذ عهد مبكر لأنها كانت بعيدة عن سلطان الخلافة، و كان أهلها يقاومون القواد و الولاة و العرب بشدة، فاستطاعوا أن يجدوا فيها تربة خصبة لبذر أفكارهم**".[6]

يستشف من هذا القول أن حركة الخوارج قد كان تواجدها في بلاد المغرب في وقت مبكر ، أي مع منتصف القرن الأول الهجري، غير أن الخوارج باعتبارها فرقة كلامية تمكنت أفكارها من أن تصل إلى بلاد المغرب الإسلامي في **أواخر القرن الأول الهجري و أوائل القرن الثاني الهجري**،و

---

[1] – إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب، ص42.

[2] – و قد نضج التنظيم الدعوي السري في عهد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، و ساعد على انتشار الإباضية الظروف السياسية و الاجتماعية، و الاقتصادية التي سادت المغرب، ينظر: عمار طالبي: الاتجاه الكلامي عند الإباضية بالغرب الإسلامي أبو يعقوب الورجلاني نموذجا ، فصل من كتاب: الاتجاهات الكلامية في الغرب الإسلامي، تنسيق علي الإدريسي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص97؛ ينظر: رسالة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة إلى شيوخ الإباضية بالمغرب، الملحق رقم:03،ص366.

[3] – إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب ، ص 42، 43.

[4] – موسى لقبال: المغرب الإسلامي،ص153.

[5] – إسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق، ص43؛ موسى لقبال: المغرب الإسلامي،ص153

[6] – ألفرد بل: المرجع السابق، ص 145،146.

بالضبط في الزمن الذي سبق وواكب الخليفة الأموي **هشام بن عبد الملك(105هـ–125هـ/ 723–742م)** الذي نكل بالخوارج و طاردهم من المشرق الإسلامي، فاضطرتهم الظروف إلى الفرار من ملاحقته و بطشه لهم إلى الاتجاه صوب بلاد المغرب فكتب لها الانتشار بها.[1]

و من أهم العوامل التي ساعدت دعاة الخوارج في نشر مذهبهم، **السرية التامة في الدعوة**، و **استغلال التجارة و الرحلة للكسب** كعامل مهم في نشر الأفكار و العادات لاسيما الفكرة الخارجية[2]، و مما جعل مذهب الخوارج يلقى نجاحا كبير بين قبائل البربر أنه كان **يناسب وضعهم الاجتماعي و السياسي**، فاتخذوه عنوانا للمعارضة القومية ضد أي سيادة تفرض عليهم كالسيادة العنصرية أو المذهبية.[3]

كما يقف على رأس العوامل المساعدة في نشر الحركة الخارجية في بلاد المغرب حركة الدعاة، و أول من دعا إليها و جاء بها إلى المغرب الداعية **سلمة بن سعيد** [4]– الذي كان يدعوا إلى الإباضية[5]– أقبل من البصرة مع **عكرمة[6] بن عبد الله مولى ابن عباس**(ت 105هـ/723م)[1] –

---

[1] – يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري،ص145، 146؛ إسماعيل عبد الرزاق:المرجع السابق،ص43؛ عمار طالبي: الاتجاه الكلامي عند الإباضية بالغرب الإسلامي أبو يعقوب الورجلاني ، ص97.

[2] – موسى لقبال: المغرب الإسلامي،ص 153.

[3] – لسان الدين ابن الخطيب: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعمال، تحقيق و تعليق: أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب العربي، الدرا البيضاء، المغرب، 1964، ص 10.

[4] – كان حيا في سنة135هـ/752م

[5] – من عبقرية سلمة بن سعيد في تكوين الدعاة، أنه اختار خمسة طلاب و أرسلهم إلى مدينة البصرة، المركز العلمي الثقافي حينئذ في العراق، و هم عاصم جميل السدراتي، و إسماعيل بن درار الغدامسي، و أبو داوود النفزاوي، و عبد الرحمن بن رستم، و أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المغاوري اليمني الأصل، و كانت هذه البعثة قد توجهت إلى البصرة سنة 135هـ و عادت بعد خمس سنوات إلى المغرب و بعد خمس و عشرين سنة كللت جهود هؤلاء بإقامة دولة إباضية مستقلة سنة 160هـ في تيهرت دامت إلى سنة 296هـ حين قضى عليها العبيديون.أنظر: عمار طالبي: الاتجاه الكلامي عند الإباضية بالغرب الإسلامي أبو يعقوب الورجلاني ، ص97، 98.

[6] – يبدوا أن عكرمة البربري استطاع أن يكون بالمسجد الجامع بالقيروان مدرسة صفرية نفذت تعاليمها إلى قلوب البربر و أهوائهم بمختلف بلاد المغرب، وجد دعاتها هنا و هناك يؤلبون القوم للانقضاض على الدولة الأموية التي بددت الخوارج بالمشرق و ظلمت البربر بالمغرب، و أقامت سلطتها على نسق جاهلي تتحكم فيها العصبية. لذلك أثمرت تعاليم عكرمة بينهم فقد تمكن حفيد تلميذه سعد، عيسى بن يزيد بن سعد أن يجمع حوله قبائل كثيرة من زناتة التي سرى إليها من قبل مذهب الصفرية، و يكون بهم دولته بسجلماسة بأقصى الجنوب للمغرب سنة (140هـ/757م) على أساس مذهبي مستغلا سقوط

– الذي كان يدعوا إلى الصفرية– يتداولان بعيرا واحد ركوبا، وصلا إلى المغرب و نشطا في دعوتهما نشاطا ملحوظا[2] و قد اتبعوا طريقة في نشر أرائهم و هي الدعوة باسم الدين وحده و هو أحسن شيء **يتفق مع مزاج البربر**[3]، إضافة إلى أنهما جاءا في فترة حساسة، إذ أن البربر قد ضاقوا ذرعا بحكم الولاة الأمويين وجورهم[4]، و ربما استغلوا خصومات العرب المشهورة فيما بينهم من قيسية و يمنية.[5]

و هكذا تكون الأسباب قد تكاثفت لقيام ثورات البربر أو كما يطلق عليها **ثورات الخوراج** في المغرب الإسلامي ابتداءا من سنة 122هـ/740م، حيث شهد المغرب الإسلامي العديد من الثورات لكن كان أولها ثورة بربرية صفرية بقيادة **ميسرة المطغري سنة 122هـ/740م**، تم تلتها ثورة إباضية **أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني سنة 140هـ/757م**، و قد استمرت هذه الثورات دون توقف إلى أن يؤسس الصفريون دولتهم المدرارية بسجلماسة في المغرب

الدولة الأموية، و اضطراب الدولة العباسية في بدايتها لتكون أول دولة خارجية في التاريخ. ينظر:علي الشابي:مباحث في علم الكلام،ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان،2002،ص: 148، 149.

[1] – هو أبو عبد الله عكرمة، عبد بربري، من أهل المغرب، أو من سبيهم، وصل المدينة فاشتراه عبد الله بن عباس، أو وهبه له والي البصرة الحصين بن أبي الحر العنبري. للمزيد ينظر: لطبفة بشاري:أبو عبد الله عكرمة المغربي مولى اعبد الله بن عباس،مجلة الدراسات التاريخية،العدد الثالث عشر،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر1433،2هـ-2011م،ص23 و ما بعدها.

[2] – عمار طالبي، الاتجاه الكلامي،ص97؛ موسى لقبال: المغرب الإسلامي،ص153؛ يوسف أحنانة، تطور المذهب الأشعري،ص 34.

[3] – ألفرد بل: المرجع السابق، ص 147؛ بن عميرة: المرجع السابق، ص65.

[4] – و في عهد هشام بن عبد الملك اشتكى وفد من البربر ما يعانونه من تصرفات الولاة من أخذ البنات الجميلات، و الجلود العسلية المزاود التي يذبح من أجلها العشرات من الأغنام، و لكن هذا الوفد لم يستقبل و لم يقع الاهتمام به فعاد خائبا و عزم على التغيير. وابتداء من سنة 124هـ/ 743م أخذت الثورة تنتشر من طرابلس إلى طنجة، و تجمعوا حول إمارة سجلماسة إلى أواسط القرن الرابع الهجري.ينظر: عمار طالبي: الاتجاه الكلامي عند الإباضية بالغرب الإسلامي أبو يعقوب الورجلاني ، ص98.

[5] – بن عميرة: المرجع السابق، ص65.

الأقصى سنة 140هـ/757م، و يؤسس الإباضيون دولتهم الرستمية[1] بالمغرب الأوسط و الأدنى سنة 160هـ/777م. [2]

إن الإباضية و الصفرية بعدما أسستا دولتين مستقلتين عن المشرق الإسلامي(الخلافة العباسية) استطاعت أن تحقق نجاحا باهرا في نشر الدعوة، حيث سنلاحظ اعتناق البربر المذهبين بكثرة و أخلصوا لهما، و هذا ما أمكن مذهب الخوارج أن ينتشر بشكل سريع في المغرب الإسلامي لما تحمله تعاليمه من التزام بتطبيق الشرع، و التشدد في ذلك ، و الابتعاد عن الظلم و الظالمين، و الثورة على كل حاكم ظالم لا يقيم الشرع.

و الجدير بالذكر أن هاتين الدولتين– المدرارية و الرستمية– لم تعمرا طويلا، حيث ارتبطت نهاية دولتي الخوارج بظهور الدعوة العبيدية، فقيام الدولة العبيدية سنة 297هـ/909م تم على أنقاض الدول المستقلة في بلاد المغرب، و من بينها دولتي بني مدرار و بني رستم الخارجيتين[3]

فضلا عن ذلك فإن **حركة الخوارج لم تنطفئ بقدوم الشيعة في بداية القرن الثالث الهجري** التاسع الميلادي بل استردت قوتها بعد ذلك بعدة سنوات[4]

حيث اندلعت ثورات الصفرية في سجلماسة على أثر رحيل (المهدي) منها إلى رقادة سنة **297هـ/909م**، و لم تفلح سياسة القمع و العنف التي لجأ إليها العبيديين تارة، و لا سياسة اللين و الدهاء لم تأت أكلها لجعل و تحويل البربر الصفرية عن ولائهم لبني مدرار.[5]

---

[1] – تنسب هذه الدولة إلى مؤسسها عبد الرحمان بن رستم الفارسي الإباضي، الذي فر إلى تيهرت بعدما طارده الأغالبة عمال الخلافة العباسية من القيروان ،حيث توافد عليه مجموعة من العلماء من جميع الأقطار من طرابلس من جبل نفوسة ثم بويع بالإمامة نظرا لعلمه ومكانته، وكان ذلك عن طريق الشّورى، ينظر: ابن الصغير المالكي:أخبار الأئمة الرستميين,تحقيق: محمد ناصر و ابراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986،ص26؛ يحي بن أبي بكر أبو زكرياء: سير الأئمة الرستميين و أخبارهم،تحقيق: إسماعيل العربي، ط 3 ،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر,1984 ، ص35.

[2] – ألفرد بل: المرجع السابق،ص 148؛بحاز إبراهيم بكير: الدولة الرستمية(160-296هـ/777-909م) دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية،ط2، المطبعة العربية،الجزائر، 1993،ص-ص،62-95.

[3] – إسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق،ص 42، 43، 210؛ يوسف أحنانة، تطور المذهب الأشعري، ص34.

[4] – ألفرد بل: المرجع السابق، ص 150، 151.

[5] – أبي عبيد البكري:المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب(جزء من كتاب المسالك و الممالك)، دار الكتاب العربي، القاهرة، القاهرة، ب.ت، ص150؛ إسماعيل عبد الرزاق:المرجع السابق، ص219.

و قد تعددت أسباب اندلاع هذه الثورات بين سياسية و اقتصادية و اجتماعية و مذهبية و حتى جغرافية[1] لتزيد في عداء الخوارج الصفرية للحكم العبيدي الشيعي، و استمرار ثوراتهم عليه[2] التي انتهت بعدم استسلام الصفرية للحكم العبيدي، و من هنا نستنتج أن سياسة العبيديين المتأرجحة بين اللين و العنف لم تجد نفعا في دعم نفوذهم في سجلماسة معقل الخوارج الصفرية في المغرب[3]، و بالمقابل رغم زوال الحكم الرستمي من تيهرت[4] سنة 297هـ/909م و تبدد شمل الخوارج الإباضية لما تعرضوا له من اضطهاد مذهبي على يد العبيديين، حيث رفضوا الإذعان للمذهب الشيعي، و استكانوا إلى حين للمسالمة و الرضى بالواقع انتظارا لسنوح الفرصة، و رغم بروز محاولات للثورة على العبيديين نذكر منها **ثورة القرلين من إباضية هوراة بناحية طرابلس** ، إلا أنه كان مصيرها الفشل، و بقي الإباضية قابعين في نفوسة ينتظرون الفرصة حتى أتت ثورة الإباضية الكبرى التي احتوت كافة عناصر الإباضية وهبية[5] و خلفية و نفاثية و نكارية[6] [1]،و التي هددت

---

[1] – للوقوف على هذه الأسباب بالتفصيل ينظر: إسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق، ص– ص، 219– 228.

[2] – إسماعيل عبد الرزاق: نفسه، ص219.

[3] – المرجع نفسه:ص228.

[4] – مدينة كبيرة من مدن المغرب الأوسط، أسسها عبد الرحمن بن رستم سنة (160هـ777م)،و كانت فيما سلف مدينتين كبيرتين، إحداهما قديمة و الأخرى محدثة،فالقديمة منها ذات سور على قمة جبل ليس بالعالي، و بها خيرات المزارع و المياه المتدفقة ، و هي في سفح الجبل يدعى جزول و لها ثلاثة أبواب باب الصفا و باب المنازل و باب المطاحن، و تتميز بقساوة المناخ، و تيهرت الحديثة في قبليها لواتة و هوارة و غربيها زواغة و مطماطة و زناتة و مكناسة و في شرقيها حصن هو تاهرت القديمة ؛ينظر: عيسى بن الذيب و أخرون : الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م،الجزائر ،2007.ص28، 29.

[5] – الإباضية الوهبية: هي فرقة الإباضية الأم التي حكمت الدولة الرستمية بتيهرت (المغرب الأوسط)، و هي تنتسب إلى الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، فالوهبية هم أتباع الإمام عبد الوهاب، و قد ظهرت تلك التسمية إثر فتنة أشعل نارها يزيد بن فندين الذي أنكر إمامة عبد الوهاب بن رستم، فعرف أتباعه لذلك بالنكارية، ينظر:كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوى المعيار المعرب للونشريسي،ص 96.

[6] – يقال لهم النجويه وهم خوارج المغرب والأندلس من الإباضية وهم جماعة يزيد بن فندين الذين أنكروا إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن أنه لم يكن إماما بالإجماع.أنظر:عبد المنعم المتقي:موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999،ص.ص252.253.

هددت بها الحكم العبيدي ، و كانت هذه **الثورة بزعامة أبي يزيد**[2] **الملقب بصاحب الحمار** الذي هدد المهدية[3] نفسها و هي عاصمة(المهدي) الشيعي في محاولة أخيرة قام بها البربر في سبيل استقلالهم **سنة 333هـ/945م** . وتعبّر هذه الثّورة عن السّخط الذي كان يجيش في صدور أهل

---

[1] – الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية (تاريخ افريقية في عهدي بني زيري من القرن 10 إلى 12م)، تر: حمادي الساحلي،ج2،ط1، دار الغرب الإسلامي،لبنان،1992، ص–ص،335-360.

[2] – أبي يزيد مخلد بن كيداد بن سعيد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان ابن وريمت بن تنفراس بن سميدن بن يفرن، و يفرن هو أبو الكاهنة، كنيته أبو يزيد واسمه مخلد بن كيداد بن سعيد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد من قبيلة يفرن الزناتية، كان أبو كيداد من أهل توزر، وكان يشتغل بالتجارة بين بلاد السودان وإفريقية ومن المعروف أن قوافل التجارة كانت تمر بمدينة أورجلان وهي ورقلة حاليا وكان سكانها من الإباضية وأكثرهم من أهل تيهرت الذين رحلوا عنها بعد سقوطها في أيدي الفاطميين واستقرارهم في ورجلان. ولد أبو يزيد مخلد بالسودان من جارية هوارية فأتى بها أبوه إلى توزر فنشأ بها، وتعلم القرآن منذ طفولته وخالط جماعة من النكارية فمالت نفسه إلى مذهبهم الخارجي، وهو من الإباضية أتباع ابن فندين الذين أنكروا إمامة عبد الوهاب بن رستم، أما ابن خلدون فيقول«وخالط النكارية من الخوارج وهم الصفرية و مال إلى مذهبهم» ثم رحل إلى تيهرت واشتغل بتعليم الصبيان العلوم الدينية وأخذا يدعوا إلى الخروج على سلطان الفاطميين، في سنة(316هـ/928م) اتجه بدعوته إلى تغيير المنكر وتكفير الفاطميين والثورة عليهم واستباحة أموالهم، لقب بصاحب الحمار، لركوبه حمار أشهب أهدي له بمرماجنة لما أراد القيام بالثورة له أربعة أولاد، يونس، أيوب، يزيد، فضل، ينظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص52؛ أبو عبد الله محمد ابن عذاري المراكشي:البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ،تحقيق:ج.س.كولان و إ. ليفي بروفنسال، ج1،ط3،دار الثقافة، بيروت، لبنان،1983، ص216؛ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق، جمال الدين الشيال،ج1، ط2،لجنة إحياء التراث الإسلامي،القاهرة، 1996،ص85؛ أبي الفداء : تاريخ المختصر في أخبار البشر، ، ص427؛محمد بن عميرة،المرجع السابق، ص–ص197-198؛ عبد العزيز المجدوب:الصراع المذهبي بإفريقية،ص– ص، 216- 223.؛ عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي ، ج1،ط3،مكتبة مدبولي،القاهرة،1994، ص78،79.ينظر كذلك:

Mahfoud kaddache, «L'Algérie des Algériens de la pré histone a .1994»,Edif,alger,2000, p.202

[3] – مدينة استحدثها عبيد الله المهدي بالمغرب(308/303هـ) وهي في نحر البحر،أصبحت عاصمة للخلافة العبيدية (الفاطمية) سنة ثمان وثلاثمائة، بينها وبين القيروان مرحلتين، كثيرة البضائع إليها مجلوبة من سائر البلاد و الأقطار .حسب ابن حوقل: المصدر السابق، ص73؛ و يقول عنها بونار أنها مدينة جليلة بناها عبيد الله بشبه جزيرة جمة بين سوسة و صفاقس ، و لما أتم بنائها أطلق عليها اسم المهدية ، و نقل إليها حكومته سنة 308هـ واتخذا عاصمة دولته، و قد وصفها الأديب التيجاني في رحلته بالقرن السابع الهجري فقال : " المهدية مدينة جليل قدرها ،شهير في قواعد الإسلام ذكرها، و هي من بناء عبيد الله المهدي أول خلفاء العبيديين ، المغرب العربي تاريخه وثقافته, ط2, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر, 1981م ،ص 130.

إفريقية والمغرب الأوسط من جراء السياسات العبيدية الرّامية لفرض المذهب الشيعي الإسماعيلي[1] على السّكان و على السّياسة المالية الصّارمة التي كانت تنتهجها الدّولة والمتمثّلة أساسا بالضّرائب الفادحة التي تفرضها على التجارات والزروع[2]و لكن هذه الثورة لم يكتب لها النجاح حيث سقط زعيمها أسيرا جريحا في يد الخليفة العبيدي المنصور، و مات متأثرا بجراحه، وسلخ و حشى جلده بالقش ووضع في قفص ليكون ألعوبة، فكان مصيرها الفشل كالثورة التي لحقت بها **ثورة أبو خزر يغلى بن زلتان وأبي سعيد سنة358هـ/969م**، و هكذا انتهى آخر فصل من فصول الثورات الخارجية في الشمال الإفريقي،و هكذا قضى على الخوارج الذين أوشكوا أن يغرقوا المغرب في مذهبهم، و زال مذهب الخوارج من المغرب بوصفه دين الدولة. و لم ينهض من هذه الضربة بعد ذلك.[3]

/

+

[1] – و كانت هذه السياسة سببا في انضمام فقهاء المالكية لثورة أبي يزيد بن مخلد بن كيداد ضد العبيديين، و يذكر أبو العرب أنه:" لما كان يوم الجمعة تقلدوا أسلحتهم و أتوا حتى ركزوا بنودهم قبالة الجامع و صلى بهم أحمد بن الوليد و دعاهم للجهاد"، ينظر: أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم: طبقات علماء افريقية،دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ب.ت ،ص 19، 20.

[2] – بوبة مجاني:أثر الضرائب في ثوابت ومتغيرات سياسة الخلافة الفاطمية في مرحلتها المغربية،مجلة الدراسات التاريخية، العدد:67.-68، دمشق، كانون الثاني حزيران،1999م،ص.ص،142.141.

[3] – المقريزي: المقفى الكبير – تراجم أغلبية و مشرقية من الفترة العبيدية-،تحقيق محمد اليعلاوي،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987،ص171؛ ألفرد بل: المرجع السابق،ص 163.

المحاضرة رقم:03

المعتزلة
ببلاد المغرب.

1-4-1- التعريف بالمعتزلة[1]:

لغة:

الاعتزال مأخوذ من اعتزل الشيء وتعزله بمعنى تنحى عنه، ومنه تعازل القوم بمعنى تنحى بعضهم عن بعض، وكنت بمعزل عن كذا وكذا أي: كنت في موضع عزلة منه، واعتزلت القوم أي

[1] – **المعتزلة**: فرقة كلامية سبقها في النشأة فرق كالجهمية و القدرية، و لكن المعتزلة أهم فرقة عرضت موضوعات علم الكلام في نسق مذهبي متكامل، بل قد أصبحت مسائل علم الكلام تناقش في إطار الحدود التي وضعها رجال المعتزلة، و من المعروف أن المعتزلة نشأت بسبب الخلاف الذي دار بين أهل السنة و الخوارج، حول مرتكب الكبيرة، فالخوارج يقولون أن مرتكب الكبيرة كافر، و لو لأننا سلمنا بذلك لكانت النتيجة خروجه عن الدين الإسلامي، و لا تقبل له شهادة، أما أهل السنة فيرون أن مرتكب الكبيرة مؤمن، له أن يتمتع بكل حقوقه،و ليس المعتزلة هو الاسم الوحيد الذي أطلق على هذه الفرقة، فالمعتزلة يحبون أن يسموا باسم الفرقة العدلية، لأن العدل أحد أهم أصولهم الخمسة،كما يسمون أنفسهم أهل التوحيد و العدل، أما خصومهم فقد نبذوهم بعدة ألقاب منها المعطلة لأنهم نفوا الصفات القديمة عن الله، و على رأسهم واصل بن عطاء بدعوى أنه لو كانت هذه الصفات لشاركت الله في القدم الذي هو أخص الوصف له. و المعطلة و الصفاتية ضدان ، و مذهبهم مبني على أساس انتقائي للأفكار و الآراء السائدة في عصرهم، فعن الجهمية أخذوا القول بنفي الصفات و القول بخلق القرآن، كما أخذوا مبدأ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر من الخوارج، و اتفقوا مع الشيعة في كثير من الآراء الخاصة بالإمامة ،و يرى أبو الحسن الخياط:" أن ما من أحد يستحق اسم اعتزال حتى يقول بالأصول الخمسة". ينظر:الشهرستاني، الملل و النحل،ج1،ص:38-39؛ لويس غارديه،ج. قنواتي:فلسفة الفكر الديني بين الإسلام و المسيحية،ترجمة الشيخ صبحي الصالح،ج1،ط1،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،1967،ص91؛عبد الرحمن بدوي: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية،ط4،دار العلم ،بيروت، لبنان،1980،ص180؛أحمد محمود صبحي:في علم الكلام- دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين-المعتزلة ،ج1، ط5،دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،1985،ص112؛أبو الحسن الخياط: الانتصار و الرد عن ابن الروندي الملحد،تحقيق نبيرج، ط2،الدار العربية للكتاب، بيروت، لبنان،1993،ص121؛ عبد المنعم الحفني:الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية،ص380؛ هنري كوربان: تاريخ الفلسفة الإسلامية،ص169 و ما بعدها.

فارقتهم، وتنحيت عنهم، ومنه قوله تعالى: (وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ)[1]. أراد إن لم تؤمنوا بي، فلا تكونوا علي ولا معي.[2]

وعلى ذلك: فالاعتزال معناه: الانفصال والتنحي، والمعتزلة هم المنفصلون.[3]

اصطلاحا:

هم أتباع واصل بن عطاء الغزال[4] تلميذ الحسن البصري " ت 110هـ/728م"، و هو المؤسس الأول لفرقة المعتزلة و السبب في ظهورهم أن رجلا دخل على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، و الكبيرة عندهم كفر يخرج عن الملة و هم وعيدية الخوارج، و جماعة يرجئون أصحاب الكبائر، و الكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان كما لا ينفع مع الكفر طاعة و هم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا اعتقادا؟ فتفكر الحسن في ذلك و قبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا و لا كافر مطلقا، بل في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن و لا كافر،ثم قام واعتزل إلى اسطوانات المسجد، يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن البصري: اعتزل عنا واصل، فسمي هو و أصحابه معتزلة.[5]

---

[1] – سورة : الدخان، الآية:20.

[2] – عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها، ط2، مكتبة الرشد، الرياض، 1995،ص13.

[3] – ابن منظور:لسان العرب، ج11 ، ص 440 ، الفيروز آبادي: قاموس المحيط، ج4،ص 15.

[4] – واصل بن عطاء:"80-131هـ/700-748م" ولد بالمدينة، و نشأ بالبصرة، من أئمة البلغاء والمتكلمين، له تصانيف منها " المنزلة بين المنزلتين" و " أصناف المرجئة" و معاني القرآن" . ينظر ترجمته:البغدادي،الفرق بين الفرق،ص107؛ الذهبي،سير أعلام النبلاء،ج5،ص464، 465، عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي بافريقية، ص105.

[5] – يحي بن أبي الخير العمراني: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار،تحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف،ج1،أضواء سلفية، المدينة المنورة، 1419هـ،ص 67؛ البغدادي، الفرق بين الفرق،ص107؛أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص118؛الشهر ستاني: الملل و النحل،ج1، ص38؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة،ص195؛ ؛عواجي : فرق معاصرة،ج1،ص1163؛ عبد المنعم الحفني:الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية،ص358؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص37؛ نسيم نوار: النزاع السني الشيعي ببلاد المغرب و أثره في تجديد المذهب المالكي " من قيام الدولة الفاطمية إلى حدوث القطيعة الزيرية 269-443هـ/909-1051م"، مذكرة ماجستير ،جامعة الجزائر 2، بوزريعة،1432هـ/2011م،ص35.

و المعتزلة باعتبارها طائفة كلامية حملت على عاتقها مهمة إصلاحية، تمثلت في تأسيس مفهوم للتوحيد، يقوم على التنزيه المطلق للذات الإلهية، و على إصلاح المجتمع من المظالم و المفاسد، وذلك من خلال تهديم فكرة الجبر، و إقامة تصور جديد عن العدل الإلهي. و بذلك استطاعت هذه الطائفة أن تقدم بناءا فكريا متناغما و منسجما.[1]

1-4-2- نشأة المعتزلة في المشرق الإسلامي:

هناك اختلاف في بداية ظهور المعتزلة، حيث نجد ثلاثة مذاهب في ذلك:

المذهب الأول: يرى أصحابه أن بدايتهم من عهد الصحابة، و أن مذهبهم هو المذهب الحق، و هو قول المعتزلة.

المذهب الثاني: يرى أصحابه أن بداية نشأة المعتزلة كانت سنة 40هـ/660م عندما تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما لمعاوية و في ذلك يقول الملطي:" و هم سموا أنفسهم معتزلة و ذلك عندما بايع الحسن بن علي عليه السلام معاوية وسلم إليه الأمر. اعتزلوا الحسن و معاوية و جميع الناس، و ذلك أنهم كانوا من أصحاب علي، و لزموا منازلهم و مساجدهم و قالوا: نشتغل بالعلم و العبادة فسموا بذلك معتزلة. و الاعتزال هنا هو من ناحية اللغة فقط، أما من ناحية الاعتقاد و الفكر فلم يكن لهم اعتقاد خاص يميزهم عن غيرهم."[2]

و هذا ما ذهب إليه أبو زهرة بقوله:" نشأت هذه الفرقة في العصر الأموي. و لكنها شغلت الفكر الإسلامي في العصر العباسي ردحا طويلا من الزمن . و يختلف العلماء في وقت ظهور المعتزلة، فبعضهم يرى أنها ابتدأت في قوم من أصحاب علي رضي الله عنه اعتزلوا السياسية و انصرفوا إلى العقائد عندما نزل الحسن عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان..."، و يستدل هذا القول من أبو الحسن الطرائفي في كتابه- أهل الأهواء و البدع.[3]

---

[1] – يوسف أحنانة : تطور المذهب الأشعري، ص13.

[2] – الملطي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع،ص30؛ جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة،ص195

[3] – أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية،ص118.

المذهب الثالث: و هو مذهب جمهور مؤرخي الفرق، الذين يرون أن البداية الحقيقية لظهور فرقة المعتزلة كانت على عهد واصل بن عطاء المؤسس الأول لفرقتهم.[1]

و من هنا نلاحظ اتفاق بين معظم الباحثين على مسألة اعتزال واصل بن عطاء حلقة أستاذه الحسن البصري، بسبب اختلافه معه في قضية مرتكب الكبيرة كما أشارنا لها سابقا، و هو سبب تسمية هذه الفرقة بالمعتزلة، و يؤرخون لظهورها بالثلث الأول من القرن الثاني الهجري ، و النصف الأول من القرن الثامن الميلادي ، و هو الرأي الراجح عندهم في ظهور هذه الفرقة.

1–4–3– أصولهم و أهم عقائدهم:

1–4–3–1– أصولهم الخمسة:

–التوحيد[2]:

يتفق أهل الملة على أن الله واحد، و هو الخالق المدبر المسير لشؤون الكون، لم يلد لم يولد، لا شريك له و لا ند. و يأخذ مفهوم التوحيد عند المعتزلة – هو لب مذهبهم. و أساس نحلتهم– دلالة خاصة فهو يعني تنزيه الذات الإلهية من كل ما من شأنه أن يسقطنا في اعتقاد التعدد و التشبيه في هذه الذات،فإن كل فكرة قد تشعرنا بأن الذات الإلهية تعددا أو تجسيما ، سيعمل المعتزلة على رفضها و تبرير ذلك الرفض عقلا و نقلا. فالآيات مثلا تفيد في منطوقها تجسيم الذات الإلهية و تشبيهها مثل قوله تعالى:(يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ)، و قوله عز وجل:(الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ)، و قوله:(وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) ،تعتبر آيات متشابهات في نظرهم، تحتاج إلى تأويل عقلي كي لا تتناقض مع مفهومهم للتنزيه المطلق و مع آيات أخرى يعتبرونها محكمات مثل قوله تعالى:(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) و قوله:(وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ)[3]، و قد برع المعتزلة في التأويل العقلي أيما براعة و اجتهدوا في ذلك حتى وضعوا للتأويل قانونا له دواعيه و

---

[1] – البغدادي، الفرق بين الفرق،ص107؛أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص118؛الشهر ستاني: الملل و النحل،ج1، ص38؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة،ص195؛ أحمد محمود صبحي:في علم الكلام،ج1،ص105 ؛ عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي بافريقية، ص105؛ عواجي : فرق معاصرة،ج1،ص1163 ؛عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص36؛ نوار نسيم: المرجع السابق،ص35.

[2] – ينظر: شرح قول المعتزلة في التوحيد و غيره، الملحق رقم:05، ص368.

[3] – سورة : الإخلاص، الآية:04.

شروطه و حدوده، و تماشيا مع فحوى التوحيد المعتزلي وقف المعتزلة من مسألة الذات الإلهية و علاقتها بالصفات موقفا يرى أن مجموع الصفات الإلهية التي وصف الله بها نفسه من قدرة و إرادة و علم، ليس لها وجود واقعي خارج الذات الإلهية لأنهم تفطنوا إلى أن إثبات الوجود الواقعي للصفات الإلهية من شأنه أن يوقع في التعدد إي القول بقديمين هما الله من جهة،و صفاته من جهة أخرى. لأجل هذا عمدوا إلى إدماج الصفات الإلهية. فقالوا: إن الله قادر بقدرة و قدرته عين ذاته. مريد بإرادته و إرادة عين ذاته.و هكذا دواليك بالنسبة لباقي صفات الذات. فأصبحت الصفات هي عين الذات الإلهية. [1]

و من ثم لم يعد ممكنا بالنسبة إليهم القول بأن هناك موضوعا وصفة. أو جوهرا و أعراضا، بل أن مفكرا معتزليا هو أبو هاشم الجبائي استطاع ببراعة ومراوغة لغوية أن يتجاوز مشكل علاقة الصفات بالذات من خلال وضعه لنظرية الأحوال. فالصفات عنده أحوال. و الحال هو كل صفة لموصوف لا تتصف بالوجود و لا بالعدم. فمثلا بدل القول بان الله يتصف بصفة القدرة يقول إن الله على حال من القدرة، و بذلك يكون قد تجاوز التعدد في الذات الإلهية بهذه الطريقة.

و في إطار أصل التوحيد كذلك طرح المعتزلة مسألة إمكانية رؤية الله ذلك أن هذه الإمكانية تطرح إشكالا حول التنزيه المطلق للذات الإلهية باعتبارها ستؤدي إلى إلحاق جهة و المكان بالذات الإلهية، في حين أنها تتعالى عن ذلك و تتنزه. لأجل ذلك عمد المعتزلة إلى رفض هذه الإمكانية رفضا عقليا، و أولوا الآية التي تفيد إمكانية الرؤية قوله تعالى:(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) [2] تأويلا عقليا بارعا.

---

[1] – يحي بن أبي الخير العمراني: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار،ص69؛الأشعري: مقالات الإسلاميين،ص2016؛ البغدادي، الفرق بين الفرق،ص105؛أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص120؛ الشهرستاني، الملل و النحل،ج1،ص 40؛ عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها،ص:81-150؛ أحنانة: تطور المذهب الأشعري، ص14؛ عواجي : فرق معاصرة،ج1،ص1164؛ عبد المنعم الحفني:الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية،ص358؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص38؛ عبد المحسن بن محمد العباد البدر: قطف الجني الداني" شرح مقدمة ابن زيد القيرواني"،ط2،منار السبيل، الجزائر،2003،ص26.

[2] – سورة: القيامة، الآية:22، 23.

أما مسألة خلق القرآن فإنها أيضا طرحت إشكالا على التنزيه المطلق للذات الإلهية، إذ لو كان القرآن و هو كلام الله قديما لكان هناك قديمان هما الله و كلامه (القرآن)، و هذا سقوط في التعدد. لهذا التجأ المعتزلة إلى أن نظروا إلى صفة الكلام على أنها صفة فعل و خلق، و ليست صفة ذات،بمعنى أن كون الله متكلما هو كونه فاعلا بالكلام و خالقا له. والقرآن بذلك مخلوق لله و فعلا له.[1]

– العدل :

لما كان المعتزلة قد نظروا إلى الله نظرة تنزيهية مطلقة، فنزهوه بذلك عن جميع النقائص بما في ذلك الظلم لأنه قبح و نقيصة،لا يصدر إلا عن ذي فاقة محتاج أو عن جاهل. والله غير ذلك، فالله لا يمكن أن يتصف بالظلم بتاتا. و حتى ما نلاحظه من زلازل، و براكين، و كوارث طبيعية يذهب ضحيتها الأبرياء فإن المعتزلة يرون فيها صلاحا للبشرية خفيا عليهم. لأن الله لا يفعل إلا ما يرى فيه أكبر قسط من الصلاح للبشرية. فلو أن هناك أمرين، أحدهما صالح و الآخر أصلح منه لكان الله فاعلا للذي هو أصلح.و لقد أدى أصل العدل الإلهي بالمعتزلة إلى طرح مشكل المسؤولية،و حرية الإرادة الإنسانية، فإذا كان الله لا يفعل القبح و لا ينبغي له، فكيف يمكن تفسير القضاء و القدر من هذا المنطق؟ الحقيقة أن المعتزلة أسندوا أفعال العباد إلى العباد أنفسهم، و جعلوهم مسؤولين عما يفعلون، فهم مختارون لأفعالهم بإرادتهم الحرة، و الله لا يحاسبهم إلا على ما اقترفوا و فعلوا،فيثيب المحسنين و يعاقب المسيئين، لأنه لو كان الله يقدر على الناس ما يشاء، ثم يعاقبهم على ذلك لكان في ذلك ظلم، و هذا لا يصح في حق الله تعالى.[2]

---

[1] – يحي بن أبي الخير العمراني: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار،ص69؛الأشعري: مقالات الإسلاميين،ص2016؛ البغدادي، الفرق بين الفرق،ص105؛أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص120؛ الشهرستاني، الملل و النحل،ج1،ص 40؛ أحنانة: تطور المذهب الأشعري، ص14؛ عواجي : فرق معاصرة،ج1،ص1164؛ عبد المنعم الحفني:الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية،ص358؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص38؛ أحمد محمود صبحي:في علم الكلام،ج1، ص121

[2] – يحي بن أبي الخير العمراني: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار،ص69؛أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص121؛ عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها،ص:151–208؛ أحنانة: تطور المذهب الأشعري، ص15؛ أحمد محمود صبحي:في علم الكلام،ج1،ص 141؛ عواجي : فرق

– الوعد و الوعيد:

و هو الأصل الذي يرى بصدده المعتزلة أن الله قد وعد المؤمنين بالجنة، و توعد الكافرين بالنار، و هو عند وعده ووعيده، ملتزم بهما لا يمكنه أن يخلفهما، لأنه لو فعل لكان كاذبا، و الكذب صفة قبيحة لا تليق بالذات الإلهية، و من هذا الباب نفى المعتزلة اللطف الإلهي و الشفاعة.[1]

– المنزلة بين المنزلتين:

و هو أصل يعكس وجهة نظر المعتزلة من مرتكب الكبيرة،أنه كافر هو أم مؤمن؟ فقد ذهب المعتزلة بهذا الصدد إلى أن مرتكب الكبيرة لا كافر ولا مؤمن،فهو ليس كافر لأن الكافر هو الذي لا يعترف بأركان الإسلام، في حين أنه يفعل. وليس مؤمنا لان المؤمن هو الذي يربط بين جانب الاعتقاد و جانب العمل. فمرتكب الكبيرة إذن في منزلة وسطى بين منزلة الكفر و الإيمان، و مصيره النار خالدا فيها، لكن عذابه مخفف.[2]

– الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر:

و هو الأصل الأخير الذي تمسك به المعتزلة شعارا لهم في دعوتهم الإصلاحية السياسية. فحيثما كان هناك فسق و فساد أو تظالم، سواء من طرف الحاكمين أو من طرف العامة إذا لا بد من

معاصرة،ج1،ص1165؛ عبد المنعم الحفني:الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية،ص359؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص38.

[1] – يحي بن أبي الخير العمراني: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار،ص69؛أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص121 ،122؛ الشهرستاني، الملل و النحل،ج1،ص 42، 43 ؛ عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها،ص:209-254؛ أحنانة: تطور المذهب الأشعري، ص15؛ أحمد محمود صبحي:في علم الكلام،ج1،ص157؛ عواجي : فرق معاصرة،ج1،ص1165؛ عبد المنعم الحفني:الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية،ص359؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص38.

[2] – يحي بن أبي الخير العمراني: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار،ص69؛ البغدادي، الفرق بين الفرق،ص108 ؛أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص122؛ الشهرستاني، الملل و النحل،ج1،ص 42، 43 ؛ عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها،ص:255-264؛أحنانة: تطور المذهب الأشعري، ص16؛ أحمد محمود صبحي:في علم الكلام،ج1،ص162؛ عواجي : فرق معاصرة،ج1،ص1165؛ عبد المنعم الحفني:الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية،ص359؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص38.

تغيير المنكر و لو حتى على الخليفة لأنه في نظرهم إن كان ظالما وجب الخروج عليه و محاربته لإحقاق الحق و الأمر بالمعروف.[1]

1-4-3-2- أهم عقائدهم:

إن جذور المعتزلة ترجع إلى حركات فكرية سابقة كمذهب القدرية الذين قالوا بالحرية الإنسانية، و آراء الجهمية[2] الذين نفوا الصفات عن الذات الإلهية، و إنكار رؤية الله، و تأكيد دور العقل في اكتشاف ما في الأشياء والأفعال من حسن و قبح. إذن المذهب الاعتزالي قد استقى أفكاره من هذه الحركات الفكرية و أخضعتها لعملية تطوير واسعة.

و للمعتزلة كغيرهم من الفرق الكلامية آراء و أفكار و معتقدات كثيرة، يمكن عرض أهمها بإيجاز في النقاط الآتية:

- اختلفوا في المكان لله تعالى، فذهب بعضهم إلى أن الله تعالى في كل مكان بتدبيره، و هذا قول أبي الهذيل و الجعفرين، و الإسكافي، و محمد بن عبد الوهاب الجبائي، و منهم من ذهب إلى القول أن الله تعالى لا في مكان؛ بل هو على ما لم يزل عليه، و هذا قول هشام الفوطي و عباد بن سليمان و أبي زفر.[3]

- نفيهم عن الله عز وجل صفاته القديمة الأزلية، فقد لبس الشيطان عليهم حتى انساقوا في فلك علم الكلام المذموم و الفلسفة الدخيلة الممقوتة فسموا ذمهم لله تعالى بإنكارهم لصفاته تعالى

---

[1] – يحي بن أبي الخير العمراني: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار،ص69؛أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص122 ،123؛ عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها،ص:265-281؛ أحنانة: تطور المذهب الأشعري، ص16؛ أحمد محمود صبحي:في علم الكلام،ج1،ص166؛ عواجي : فرق معاصرة،ج1،ص1165؛ عبد المنعم الحفني:الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية،ص360؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص39.

[2] - **الجهمية**: أصحاب جهم بن صفوان، و هو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ، و قتله سلم بن أحوز المازني بمرو ، في آخر ملك بني أمية، ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء،منها قوله:لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة بها خلقه، للمزيد ينظر: المقريزي:المواعظ و الاعتبار،ج3،ص407؛ الشهرستاني:الملل و النحل،ج1،ص73، 74.

[3] – عواجي: فرق معاصرة،ص1175.

باسم ظاهره فيه الرحمة و باطنه من قبله العذاب، أي أن ظاهره التنزيه و لكن باطنه تمام التشبيه و التعطيل، كما نفوا عنه الرؤية

- اتفاقهم على القول بحدوث كلام الله، و حدوث أمره و نهيه و خبره.
- اتفاقهم على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها و شرها، و ليس الباري سبحانه و تعالى خالقا لأفعالهم.
- اتفاقهم على أن الفاسق من أمة الإسلام في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن و لا كافر، و إذا خرج من الدنيا من غير توبة استحق الخلود في النار، و لكن عقابه أخف من عذاب الكفار.
- اتفاقهم على استحالة رؤية الله بالأبصار، يقول ابن حزم:"....ذهبت المعتزلة و جهم بن صفوان إلى أن الله تعالى لا يُرى في الآخرة..."[1]
- اتفاقهم على الحسن و القبح يجب معرفتهما بالعقل، و أنه يجب على الله تعالى من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد.

و عموما اتفقوا على موقف واحدا من صفات الله تعالى، فقالوا بنفيها بعبارات تلبيسية من جهة، و تظاهروا بإثبات بعضها، و نفوا بها عنهم اتهام غيرهم لهم بنفيها من جهة ثانية . و تأوّلوا الصفات الخبرية تأويلا تحريفيا من جهة ثالثة.[2]

1--4- أسماء المعتزلة:

ليس اسم المعتزلة هو وحده الذي أطلق على هذه الفرقة، بل هناك أسماء أخرى، منها من أطلقوها على أنفسهم، و منها من أطلقها عليهم غيرهم:

الفرقة العدلية: يحب المعتزلة أن يتسموا باسم الفرقة العدلية، حيث أن العدل أهم أصولهم الخمسة، إذ يتضمن أغلب نظرياتهم فضلا عن أن الأصول الثلاثة الأخيرة لازمة عنه، كما يحب أن يسموا أنفسهم بأهل العدل و التوحيد، أما خصومهم فقد نبذوهم بعدة ألقاب منها المعطلة لتنزيههم الله عن صفات المحدثين تنزيها ينطوي على كثير من الصفات السلبية إلى حد للتعطيل في رأي الخصوم.

---

[1] – ابن حزم:الفصل في الملل و النحل ،ج3،ص07؛ عواجي: فرق معاصرة،ص1176.

[2] – خالد كبير علال: جناية المعتزلة على العقل و الشرع – مظاهرها، آثارها ، أسبابها – قراءة نقدية تكشف جنايات المعتزلة و تناقضاتهم و تحريفاتهم في حق العقل و الشرع –،ط1،دار المحتسب،الجزائر،2012،ص06.

القدرية: كما سميت فرقة المعتزلة باسم القدرية لقولهم بحرية الإنسان أو بالأحرى أن قدر الإنسان بيده، و بسبب موافقتهم القدرية في إنكار القدر و إسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم، و هو لا يرضون بهذا الاسم و يرون أنه ينبغي أن يطلق على الذين يقولون بالقدر خيره و شره من الله تعالى لا عليهم؛ لأنهم لا يقولون بذلك، بل يقولون بأن الناس هم يقدرون أعمالهم، و كان أول المتكلمين في القدر و المقررين له معبد الجهني و غيلان الدمشقي.[1]

الجهمية: أول من أطلق على المعتزلة لقب الجهمية هو الإمام أحمد بن حنبل في كتابه" الرد على الجهمية"؛ لأن مناظراته في زمنه كانت مع الجهمية في القول بنفي الرؤية و الصفات و خلق القرآن فضلا عن التأويل العقلي، و اعتبار العقل مصدر المعرفة، إن تلقيبهم بالجهمية إنما كان لما وجد من موافقتهم لهم في تلك المسائل مع مراعاة سبقهم فيها على المعتزلة و تمهيدهم السبيل للتوسع فيها، على أن نشير أن المعتزلة لا يعدون الجهم من رجالهم أو طبقاتهم لاختلافهم معه في مسائل جوهرية، فقد كان جهم بن صفوان جبريا و المعتزلة قدرية، و الإيمان عند جهم اعتقاد في القلب فقط، بين معتزلة اعتقاد و قول و عمل، أي ما وقر في القلب و نطق به اللسان و صدقه العمل.[2]

و قد ذكر المقريزي تسميات أخرى أطلقها الخصوم و لكنها ليست شائعة كاسم المفنية لقول أبي هذيل العلاف بفناء حركات أهل الخلدين، و سميت باللفظية لقولهم ألفاظ القرآن مخلوقة ، كما سموا بالقبرية لإنكارهم عذاب القبر. و منها أيضا الثنوية و المجوسية لمذهبهم القائل : الذي يقرر أن الخير من الله و الشر من العبد، و هو بذلك يشبه مذهب الثنوية و المجوس الذي يقرر بوجود إلهين : أحدهما للخير و الآخر للشر.و منها أيضا المعطلة، و الوعيدية.[3]

---

[1] – يحي بن أبي الخير العمراني: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار،ص68؛أحمد محمود صبحي:في علم الكلام،ج1،ص112؛ عواجي : فرق معاصرة،ج1،ص1167.

[2] – المقريزي: المواعظ و الاعتبار،ج3،ص 407؛ أحمد محمود صبحي:في علم الكلام،ج1،ص–ص، 111-113؛ عواجي : فرق معاصرة،ج1،ص1166.

[3] – المقريزي: المواعظ و الاعتبار،ج3،ص 401؛ عواجي: فرق معاصرة،ص 1167.

1–4–5– فرق المعتزلة:

قبل الحديث عن هذه الفرق ، لا بد من الإشارة إلى أن هذه الفرق تجمعها مبادئ و تختلف في مبادئ أخرى، أولا ما تتفق عليه: أن المعتزلة بفرقها المتعددة تجمع على أمور يسمونها الأصول الخمسة و هي: التوحيد، و العدل، و الوعد و الوعيد، و المنزلة بين المنزلتين، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.[1]

ثانيا ما تختلف فيه: إن المعتزلة كغيرها من الفرق– عند نشؤها– قد بدأت محدودة التفكير مقتصرة على الأصول الخمسة التي سبق ذكرها آنفا، و لكن سرعان ما تعمق المعتزلة في بحث تلك الأصول، و توسعوا في شرحها، فنشأ بذلك مسائل فرعية من هذه الأصول، و سبب ذلك الاعتماد على العقل، و عدم التقيد بالنصوص من الكتاب و السنة و أيضا انغماسهم في الفلسفة اليونانية التي أخذوا يدرسونها؛ و يستمدون بعض الأفكار و يمزجونها بعقيدة المسلمين، بسبب ذلك دب الخلاف بينهم، و تشعبت لآرائهم و اشتد الحوار و الجدل، فانقسموا إلى اثنين و عشرين فرقة لكل واحدة منها أفكارها و آراؤها الخاصة، و تتبع كل فرقة أحد رؤوس الإعتزال البارزين.[2] و هي: " الواصلية[3]، و العمرية، و الهذلية، و النظامية، و الثمامية، و المعمرية، و البشرية، و الهشامية، و المردارية، و الجعفرية، و الأسورية، و الأسكافية، و الخابطية و الحدثية، و المويسية، و الصالحية ، و الجاحظية، و الشحامية، و الخياطية، و الجبائية، و الكعبية، و البهشمية و الحمارية"[4]

---

[1] – عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها،ص51.

[2] – نفسه ،ص52.

[3] – الواصلية: هم أتباع واصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة و داعيهم إلى بدعتهم بعد معبد الجهني، و غيلان الدمشقي، ينظر: البغدادي: الفرق بن الفرق،ص107، الشهر ستاني: الملل و النحل،ج1،ص40.

[4] – عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها،ص–ص:52– 76.

1-4-6- دخول و انتشار مذهب المعتزلة في المغرب الإسلامي:

لم يكن علم الكلام[1] مرغوبا فيه في المغرب الإسلامي، و كان رجاله منبوذين من قبل علماء السنة الذين ناصبوا العداء كل اتجاه منحرف عن اتجاه أهل السنة.و لم يجد علم الكلام له نشاطا واسعا في المغرب، و لم يلق من التشجيع و كثرة الأنصار ما لقيه في المشرق، و ما من شك أن المذهب المالكي و هو صاحب السيادة المذهبية في هذا الجزء من العالم الإسلامي لعب دورا في فرض نفوذه و محاربة أي مذهب أو فكر ديني آخر، إلا أن هذا لا يعني أن المغرب كان خاليا تماما من هذا النوع من الفكر، بل المصادر تشير إلى أنه رغم العداء المستحكم من قبل أهل السنة المغاربة لعلم الكلام فقد وجد له أنصار، و في ذلك يذكر الإمام ابن حزم في رسائله فيقول:" ...و أما علم الكلام فإن بلادنا و إن كانت لم تتجاذب فيها الخصوم و لا اختلفت فيها النحل، فقل لذلك تصرفهم في الباب، فهي على كل حال غير عربة عنه، وقد كان فيهم قوم يذهبون إلى الاعتزال، نظار في أصول الدين و لهم فيها تأليف".[2]

و لقد كانت المعتزلة من أقدم الفرق دخولا إلى المغرب و من أكثرها تأثيرا فيه، و لكن الذي يلاحظ بادئ ذي بدء أن المعلومات المتوفرة عن هذه الفرقة و فكرها، نادرة جدا، فما هي إلا

---

[1] – **علم الكلام**: توجد عدة تعريفات لعلم الكلام، نذكر منها تعريف الفارابي بأنه:" ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء و الأفعال المحمودة التي صرح بها واضع الملة، و تزييف كل ما خالفها بالأقاويل"، و أيضا يعرفه الإيجي في المواقف بقوله:" علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج و دفع الشبه، و المراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل، و بالدينية المنسوبة إلى دين محمد صلى الله عليه وسلم، فإن الخصم و إن خطأناه لا نخرجه من علماء الكلام"،و إن كان كل من الفارابي و الإيجي قد جعلا علم الكلام يقوم على العقيدة الإسلامية دون تمييز بين الفرق الإسلامية، فإننا نجد ابن خلدون يحصر التعريف في نصرة الاعتقادات على مذهب السلف و أهل السنة و يخرج باقي الفرق فيقول في تعريفه لعلم الكلام:" هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية و الرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف و أهل السنة"، و هو في هذا يوافق ما ذهب إليه الغزالي في المنقذ من الضلال، من خلال التعريفات السابقة يمكننا أن نستخلص أن علم الكلام يقوم على إثبات العقيدة الدينية عن طريق الأدلة العقلية، فهو بذلك يقوم بتوضيح أصول العقيدة و شرحها و تدعيمها بالأدلة العقلية. ينظر: الايجي: المواقف،ص07؛ عبد الرحمن ابن خلدون:المقدمة، دار العودة، بيروت، 1981م ص303 ؛ علي عبد الفتاح المغربي: الفرق الكلامية (مدخل و دراسة)،ط2،مكتبة وهبة، القاهرة،1995،ص11.

[2] – إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص195 ، 196.

إشارات عابرة لا تكاد تفي بالمقصود و تراجم رجالها أيضا نادرة. لعل السبب في ذلك يرجع إلى أن علماء المغرب من أهل السنة لم يكونوا يرون المبتدعة من العلماء، و لا يعدون خلافهم خلافا، و لذلك أسقطوهم من طبقاتهم التي ألفوها في الرجال؛ و هو نوع من أنواع المقاومة لفكرهم، على الرغم من أن كثيرا منهم كان لهم بروز في فنون أخرى من العلوم كالفقه و اللغة، و لكن ذلك لم يشفع لهم عند المغاربة ما دام الأصل غير سليم، و في هذا المعنى يقول ابن عبد البر:" أجمع أهل الفقه و الآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع و أهواء و زيغ و لا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، و إنما العلماء أهل الأثر و التفقه فيه".[1]

لكن رغم ذلك كله، فأن الباحث يستطيع من خلال تلك الإشارات المتوفرة أن يرسم صورة عن دخول الاعتزال إلى المغرب، و الأسباب التي ساعدت على انتشاره. يمكن أن نقسم الأسباب التي ساعدت على دخول الاعتزال إلى بلاد المغرب إلى أسباب مباشرة و أسباب غير مباشرة، و نقصد بالمباشرة وفود بعض رجال الاعتزال على المغرب من المشرق لنشر الاعتزال به، و تذكر المصادر في هذا الصدد أن واصل بن عطاء رأس المعتزلة و أحد مؤسسي مذهبهم، أرسل داعيته عبد الله بن الحارث إلى المغرب للدعوة لهذا المذهب. و كانت عادة مؤسسي المذاهب إرسال دعاتهم إلى البلاد المختلفة للدعوة إلى مذاهبهم و نشرها في الناس، فكان نصيب عبد الله بن الحارث من نصيب بلاد المغرب.و قد تمكن هذا الرجل من اجتذاب كثير من سكان البربر إلى دعوته، خاصة لدى القبائل البربرية[2] الخارجية، و امتد تأثيره حتى بلغ مساحات شاسعة من بلاد المغرب مما جعل ياقوت الحموي يذكر أن " مجمع الواصلية (أصحاب واصل بن عطاء) كان قريبا من تيهرت، و كان عددهم نحو الثلاثين ألفا في بيوت كبيوت الأعراب يحملونها."، و على الرغم مما قام به المعتزلة الواصلية من دور معادي لأئمة بني رستم إلا أنهم حضوا بتسامح ديني إلى أبعد الحدود، ذلك ان

[1] – عبد العزيز المجدوب:الصراع المذهبي بإفريقية،ص106؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص196.

[2] – انتشر الاعتزال بين قبائل زناتة و مزاتة كما قيا إن زعيم أوربة إسحاق بن محمد بن عبد الحميد كان معتزليا– ، ينظر: ابن حوقل : صورة الأرض،ص94؛ البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب،ص118.

تاريخ المنطقة شهد فترات من وقائع الخلاف و التقارب بين المعتزلة و الإباضية،[1] و لعل السبب في سرعة انتشار الاعتزال في تلك القبائل، أن أهلها كان عندهم استعداد لتقبل أي دعوة جديدة،ففي هذه القبائل كانت قد انتشرت من قبل الديانة البراغواطية[2] فوجد ابن الحارث في هذه القبائل تربة صالحة لنشر مذهبه.

إلى جانب الأسباب المباشرة لدخول الاعتزال إلى المغرب هناك أسباب غير مباشرة تتمثل في وفود بعض الأقوام من الشام و من العراق ممن يدينون بالفكر الاعتزالي مع الولاة في أوقات مختلفة، و احتلالهم الوظائف الإدارية و العسكرية، فكان لهم بذلك دور كبير في التمكين للاعتزال بالمغرب.[3]

و منها أيضا تمذهب معظم الأمراء الأغالبة بالاعتزال، و لا شك أنهم كانوا في ذلك مقلدين لمن انتسب لمذهب المعتزلة من خلفاء بني العباس أمثال المأمون و المعتصم و الواثق[4]،و من الأسباب غير المباشرة أيضا رجوع بعض من رحل من المغرب بعد أن تشبعوا بأفكار المعتزلة التي درسوها على رجالها المختصين الذين كانوا ينتشرون، و كان لهؤلاء دور كبير أو أثر عميق في نشر آراء المعتزلة و معتقداتهم، أمثال سليمان بن أبي عصفور المعروف بالفراء أحد الفقهاء الأحناف في العهد الأغلبي رحل إلى العراق، ثم عاد يطرح العقائد الاعتزالية التي تلقاها عن أئمة الاعتزال بالمشرق أمثال:بشر المريسي و أبي الهذيل و غيرهما، عبر التأليف، حيث كان قد ألف عدة مؤلفات في الجانب العقدي على طريقة المعتزلة مثل:" أعلام النبوة"، و عدة كتب في " خلق القرآن"، وقد تميز الرجل بقدرة فائقة على الجدل و المناظرة، و بخاصة فيما يتعلق بالقرآن، و قام يحي بن عون سليمان بن عصفور بنفس الدور الذي قام به بشر المريسي في المشرق،حيث نشر البدعة في كل مدينة من مدن المغرب

---

[1] – ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2،ص–ص،7–9عبد العزيز المجدوب:الصراع المذهبي بإفريقية،ص106؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص197؛ نسيم نوار، المرجع السابق،ص36.

[2] – **الديانة البرغواطية** : نسبة إلى برغواطة و هي أخلاط من قبائل شتى من البربر المصامدة، اجتمعوا إلى صالح بن طريف، كانت مواطنهم بين بسائط تامسنا و ريف البحر، حيث ادعى النبوة أيام هشام بن عبد الملك...للمزيد ينظر: ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1،ص 56، 57؛ ألفرد بل: المرجع السابق،ص–ص، 173–179.

[3] – عبد العزيز المجدوب:الصراع المذهبي بإفريقية،ص106؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص197.

[4] – عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها، ص: 40– 43 ؛ نسيم نوار : المرجع السابق، ص36.

و كل زاوية من زواياه، و أصبح هو شيخ المعتزلة بالقيروان،و هناك فقيه آخر، هو عبد الله بن الأشج رحل إلى العراق ثم عاد إلى القيروان، ليساهم في نشر الفكر الاعتزالي، و كان من أهل المناظرة و الجدل ، و عند عودته سأل: فيم يتكلم أهل لقيروان؟ فقيل له: في الأسماء و الصفات. فقال: إنما تركت الناس في العراق يتكلمون في مسألتين: مسألة القدر، و مسألة الوعد و الوعيد.

و لقد تأثر كثير من رجال المغرب بالآراء الاعتزالية، و تمذهبوا بمذهبهم، من بينهم ابن أبي الجواد ممن قاد المدرسة الاعتزالية بالمغرب، و كان مذهبه مذهبهم، و كذلك الحال لأبي إسحاق المعروف بالعمشاء الذي كان من أعلام رجالهم، و كان يذهب بخلق القرآن و يناظر فيه المناظرة الشديدة، و من أكثر رجالهم تصرفا في علم الكلام و الجدل أبو الفضل المعروف بابن ظفر الذي كان يقول بخلق القرآن و يناظر فيه،و رجل آخر يدعى محمد الكلاعي، كان أيضا من أهل المناظرة و الجدل على مذهب المعتزلة.و منهم أيضا محمد المعروف بالمسحي الذي كان مقصد المعتزلة لتقدمه في المناظرة بخلق القرآن، و رجل يدعى ابن أبي روح و يلقب بالبغلة الذي كان معنيا بالجدل في الأسماء و الصفات، و منهم عبد الأعلى بن وهب بن عبد الأعلى(ت 261هـ/875م)، الذي كان يذهب بالقول أن الأرواح تموت، و كان ينسب إلى القدر.[1]

و منهم محمد بن الأسود الصديني الذي كان على مذهب المعتزلة، و تبوأ منصب القضاء في الدولة الأغلبية على عهد زيادة الله الثاني بن الأغلب ، و قد عسف و ظلم العامة، وصفه القاضي عياض بأنه:" كان خبيثا معتزليا"، و قد عزله و عين في مكانه حماس بن مروان، حيث كتب إليهم:" إني قد عزلت عنكم الجافي المبتدع، ووليت حماس بن مروان لرأفته و رحمته و طهارته و علمه بالكتاب و السنة."[2]

و منهم عبد الله بن مسرة(ت 286هـ/899م) فقد كان متأثرا بالاعتزال، و من رجالهم أيضا رجل يدعى أحمد بن عبد الوهاب بن يونس المعروف بابن صلى الله (ت369هـ/979م) كان بصيرا بالحجاج، و كان ينسب إلى الاعتزال.[3]

---

[1] – إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص198.

[2] – القاضي أبو الفضل عياض: تراجم أغلبية (مستخرجة من مدارك القاضي عياض)، تحقيق محمد الطالبي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1968،ص344.

[3] – إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة،ص199.

المحاضرة رقم:04

المذهب الإسماعيلي من الدعوة إلى الدولة.

1-1- التعريف بالشيعة:

لغة:

أطلقت كلمة الشيعة مراداً بها الأتباع والأنصار والأعوان والخاصة [1]، يقول ابن خلدون:" اعلم أن الشيعة لغة هم الصحب و الأتباع و يطلق على عرف الفقهاء و المتكلمين من الخلف و السلف"[2] يقول ابن دريد (ت321هـ/933م)في تعريف الشيعة:" فلان من شيعة فلان أي ممن يرى برأيه و تشيع الرجل على الأمر تشيعا إذا أعنته عليه، و شايعت الرجل على الأمر مشايعة."[3]

والشيعة أنصار الرجل وأتباعه، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة.

و كل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وكل من عاون إنساناً وتحزب له فهو شيعة له، وأصله من المشايعة وهي المطاوعة والمتابعة.

اصطلاحا:

يعرف **الإمام الأشعري** الشيعة بقوله:"...و إنما قيل لهم الشيعة لأنهم شايعوا عليا رضوان الله عليه، و يقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم."[4]

أما **ابن خلدون** فيعرف الشيعة بقوله:" ...هم الذين كانوا يرون أنهم أحق بالأمر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، و أن الخلافة لرجالهم دون سواهم من قريش"، و هم أيضا :"جماعة كانوا يتشيعون لعلي رضي الله عنه و يرون استحقاقه للخلافة على غيره...".[5]

---

[1] – الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج3،ص47.

[2] – ابن خلدون: المصدر السابق،ج1،ص246.

[3] – أبوبكر محمد بن الحسن ابن دريد: جمهرة اللغة، تحقيق:منير بعلبكي،ج2، دار العلم للملايين،بيروت،1987،ص87.

[4] – الأشعري: مقالات الإسلاميين،ج1،ص65.

[5] – ابن خلدون: المصدر السابق،ج3،ص 214، 215.

بينما عرفهم **الشهرستاني** بقوله:"...هم الذين شايعوا عليا عليه السلام على الخصوص، و قالوا بإمامته نصا، ووصية،إما جليا أو خفيا، و اعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده،و إن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، قالوا: أن ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، و ينتصب الإمام، بل هي قضية أصولية. هو ركن الدين لا يجوز للرسول عليه السلام إغفاله و إهماله." و قالوا أيضا بعصمة الأنبياء و الأئمة وجوبا عن الكبائر و الصغائر، و التبري قولا، و فعلا، و عقدا إلا في حالة التقية. [1]

كما يطلق اسم الشيعة على كل من فضل عليا رضي الله عنه على الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم جميعا، و يرون أن أهل البيت أحق بالخلافة، و أن خلافة غيرهم باطلة.[2]

و بذلك تكون الشيعة في الأصل أولئك الذين شايعوا عليا، و أيدوه، غير أنهم في تشيعهم افترقوا إلى فرق كثيرة،حسب نزاعاتهم و آرائهم التي تجاوزوا بها حدود العقائد الإسلامية إلى أن وقع الكثير منهم بمغالاتهم الباطلة و دعاويهم الزائفة في الكفر عندما ادعى بعضهم الألوهية لعلي رضي الله عنه، في حين ادعاها آخرون لبعض ذريته. و الشيعة بهذا تصبح أقدم المذاهب السياسية الإسلامية، و إن هذا الفريق نما و ترعرع في عهد علي رضي الله عنه من غير أن يعمل على تنميتها.[3]

1–3–2– مبادئ الشيعة:

على العموم فإن الشيعة بدورهم تمكنوا من تأسيس مجال نظري لتوجهاتهم و أفكارهم العقدية، لخصوها في أربعة ثوابت و هي: – – الوصية.

– الإمامة.

– العصمة.[4]

– المهدية.[5]

---

[1] – الشهرستاني: الملل و النحل،ج1،ص 144، 145.

[2] – عواجي: فرق معاصرة،ج1،ص 308.

[3] – عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص 32.

[4] – ينظر تعريفها عند: محمد المنوني: حضارة الموحدين، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء،1989،ص42.

[5] – ينظر تعريفها عند: أحمد أمين بك: المهدي و المهدوية، ط1،شركة نوابغ الفكر، القاهرة،2009،ص 6 و ما بعدها.

– التقية.

فالشيعة آمنوا بأن الخلافة ينبغي أن تكون خاضعة لمبدأ الوصية؛ و أن تستمد منها مشروعيتها، فالرسول صلى الله عليه وسلم – في نظرهم– كان قد أوصى لعلي رضي الله عنه بالخلافة إلا أن أبا بكر و عمر و عثمان رضي الله عنهم، قاموا باغتصاب هذا الحق. و من أهم شروط الخلافة عندهم هو انتماء الإمام إلى آل البيت، و بذلك يكون معصوما من الأخطاء: لا يخطئ، و لا ينسى، و لا يرتكب الكبائر و لا الصغائر، بل أنه المرجع الوحيد لتأويل الشريعة الإسلامية.

في ظل هذه المبادئ العامة[1] يمكن أن **نعدد الأفكار** التي كانت تنادي بها فرقة الشيعة في نقاط أهمها كالآتي:

– إن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة، بل هي ركن الدين و قاعدة، و لا يجوز للنبي إغفالها، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، و يكون من الصغائر.

و الإمامة أو الخلافة كما يبين ابن خلدون حقيقتها:" إن حقيقة الخلافة نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين و سياسة الدنيا، فصاحب الشرع متصرف في الأمرين:

أما في الدين فبمقتضى التكاليف الشرعية الذي هو مأمور بتبليغها و حمل الناس عليها.

و أما سياسة الدنيا فبمقتضى رعايته لمصالحهم في العمران البشري."[2]

– عين رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا للخلافة بنصوص ينقلونها و يؤولونها لا يعرفها فقهاء الشريعة و أهل الحديث، و من هنا نشأت فكرة الوصية، و لقب علي بالموصى، فهو إمام بالنص لا بالانتخاب، و قد أوصى علي رضي الله عنه لمن بعده. و هكذا على كل إمام أن يوصي لمن بعده.

– علي رضي الله عنه أفضل الخلق في الدنيا و الآخرة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم فمن عاداه أو حاربه فهو عدو الله إلا إن ثبتت توبته و مات على حبه.

---

[1] – يوسف أحنانة : تطور المذهب الأشعري، ص12.

[2] – ابن خلدون: المصدر السابق،ج1،ص246، يوسف أحنانة : تطور المذهب الأشعري، ص12.

– لم يكن الشيعة على درجة واحدة، بل منهم المغالي و المقتصد. و قد اقتصر المعتدلون على تفضيله على بقية الصحابة من غير تكفير أو تفسيق لأحد، و قالوا: ليس بين النبي صلى الله عليه وسلم و بين علي رضي الله عنه إلا مرتبة النبوة.

أما المغالون المتطرفون فلم يكتفوا بتفضيله على الخلفاء و عصمته، بل رفعوه إلى مرتبة النبوة، و منهم من أَلَّهَه أي زعم حلول الإله فيه.[1]

يقول ابن خلدون:"... و منهم طوائف يسمون الغلاة تجاوزا حد العقل و الإيمان في القول بألوهية هؤلاء الأئمة، إما على أنهم بشر اتصفوا بصفات الألوهية أو أن الإله حل في ذاته البشرية و هو قول بالحلول يوافق مذهب النصارى في عيسى صلوات الله عليه و لقد حرق علي رضي الله عنه بالنار من ذهب فيه إلى ذلك منهم و سخط."[2]

وهكذا كان التشيع أرضا خصبة لظهور القول بالرجعة والحلول و التناسخ و التجسيم و التشبيه. و يمكن القول بأن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من يريد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، و من يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية و نصرانية و مجوسية و غيرها في الإسلام.كل هؤلاء كانوا يتخذون حب آل البيت ستارا يضعون وراءه كل ما شاءت أهوائهم.

1-3-3- نشأة الشيعة في المشرق الإسلامي:

ترجع جذور المذهب الشيعي إلى فترة مبكرة في تاريخ الإسلام، حيث أن هذه الفرقة نشأت هي الأخرى لأسباب سياسية في المشرق هي اختيار الخليفة ، فقد برزت مقدماته منذ أن توفي النبي صلى الله عليه وسلم 11هـ/632م. و كان رأي بعض الصحابة أن أولى الناس بخلافة النبي صلى الله عليه وسلم هم أهل بيته– رغم أنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم نص قاطع أو إشارة واضحة إلى من يكون الخليفة من بعده– من بني هاشم و أبرز هؤلاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه.[3] و لكن اجتماع السقيفة المشهور انتهى باختيار أبي بكر الصديق رضي الله عنه كخليفة للمسلمين ، و اضطر علي رضي الله عنه أن يبايع له،لكن غلاة المتحمسين لآل بيت الرسول

---

[1] – عبد المجيد معلومي: المرجع السابق ،ص34،33.

[2] – ابن خلدون: المصدر السابق،ج1،ص248.

[3] – النوبختي: فرق الشيعة،ص02؛أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص21؛ ألفرد بل: المرجع السابق،ص151؛ بشير رمضان التليسي: : الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي ، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت ،لبنان، 2003،ص257.

صلى الله عليه وسلم لم يستطيعوا قبول أن يكون خليفة النبي صلى الله عليه وسلم من غير آل بيته[1].[2]يقول ألفرد بل:"... لهذا كون أنصار علي رضي الله عنه " شيعة" له ، أي حزبا؛ و سمى كل منهم "شيعياً" أي نصيرا لعلي..."،[3] و قبل وفاة الخليفة أبو بكر رضي الله عنه قام باختيار عمر بن الخطاب رضي الله عنه خليفة له عن طريق التعيين، و أوصى عمر بن الخطاب رضي الله عنه من بعده إلى ستة من بينهم علي رضي الله عنه. لكن تم اختيار عثمان بن عفان رضي الله عنه،و خلال هذه الفترة نشأت الشيعة يقول أبو زهرة:"...قامت الشيعة كظاهرة في آخر عصر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، و قد نمت و ترعرعت في عهد علي رضي الله عنه، من غير أن يعمل على تنميتها..."[4]

و الجدير بالذكر أنه خلال فترة أبو بكر و عمر رضي الله عنهما سكن الخلاف بين المسلمين، و خلال فترة خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه بالذات برز من جديد التنافس بين بني أمية و بني هاشم على الخلافة.[5]

و مما لا شك فيه أنه لما تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة ساد المجتمع الإسلامي العدل بكل مظاهره، و قام عثمان بن عفان رضي الله عنه بدوره المنوط به،كما كان ولاته عادلين و مع هذا ثارت طائفة من رعيته متذرعين بأسباب واهية تحججوا بها للثورة على الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، و الواقع أن السببين الرئيسيين الحاسمين وراء هذه الثورة أولهما الحسد و الحرص على متاع الدنيا،و ثانيهما الدور الخفي الذي لعبته السبئية في تأليب الناس و الكيد للخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه[6]. وهذا ما أدى إلى مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله

---

[1] – ينظر: شجرة نسب آل أبي طالب، الملحق رقم:04،ص367.

[2] – ألفرد بل: المرجع السابق،ص151.

[3] – المرجع نفسه: ص152.

[4] – أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص31.

[5] – النوبختي: فرق الشيعة،ص03،أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص23؛بشير رمضان التليسي: : الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي ،ص257.

[6] – **السبب الأول**: قد تمثل ذلك في طائفة من الناس دفعها الحسد و الحرص على المتاع الزائل، إلى الطعن في في عثمان رضي الله عنه و رجاله، و العمل على الإطاحة بهم، و قد مثل هذه الطائفة رؤوس الفتنة، كالأشتر النخعي، وابن الكواء، و عمير بن ضابيء، و محمد بن أبي حذيفة، و محمد بن أبي بكر، و **السبب الثاني**: هو الدور الخفي الذي لعبه أعداء الإسلام و

عنه سنة 35هـ/655م، و الذي كان إيذانا بانقسام المسلمين و تقطعهم فرقا تحارب بعضها البعض، و بدأ صراع سياسي على الساحة الإسلامية من جديد حول الخلافة.

بالطبع فقد كان مقتل عثمان رضي الله عنه، و تولي علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة بعده،[1] حدثا دفع معاوية بن أبي سفيان إلى المعارضة السياسية، فحمل قميص عثمان المدمى، و راح يطوف به بين القبائل العربية يحمسها، و يدفعها إلى الأخذ بدم القتيل، و الاقتصاص من القاتلين قبل كل شيء. فكان هذا أول حدث سياسي عرف على إثره المسلمون انشقاقا و انقساما، جعلهم طائفتين: طائفة يمثلها الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، و من معه كابن عباس، و عمار بن ياسر، و الحسن و الحسين رضي الله عنهم جميعا، حيث أصر على موقفه في تأجيل القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، و عزم على استخدام القوة تجاه كل من خالفه.

و طائفة أخرى يمثلها أهل الشام و في مقدمتها معاوية بن أبي سفيان و عمرو بن العاص و النعمان بن البشير رضي الله عنهم، الذين رأوا ضرورة التعجيل بالقصاص لدم عثمان رضي الله عنه، هذا التباين في وجهات النظر، و الإصرار على المواقف هما اللذان جرا الطائفتين إلى اصطدامات عسكرية كثيرة كان أشهرها موقعة صفين [2] التي كاد النصر يكون حليف علي رضي الله عنه و أتباعه، لولا أن معاوية التجأ و بإيعاز من الداهية عمرو بن العاص إلى حيلة رفع المصاحف على الرماح و السيوف، و حمل شعار " لا حكم إلا لله"، و بعد اخذ و رد، توقف القتال و انتهت بقبول علي رضي الله عنه بالتحكيم، هذه العملية أفرزت خيبة أمل كبيرة في صفوف أتباع علي رضي الله عنه، و أنقسم جيشه إلى ثلاث طوائف: طائفة أولى خرجوا على صفوف علي و كفروه، بحجة أنه خضع للتحكيم ارتكب كبيرة فسميت هذه الطائفة بهذا الخروج السياسي طائفة الخوارج، أما الطائفة الثانية التزمت الحياد السياسي، و لم تساند في هذه الحرب لا

المسلمين، قصد إفساد الدين و تسميم الفكر الإسلامي، و الكيد للمسلمين، و قد قام بهذا الدور عبد الله بن سبأ و أعوانه ينظر: خالد كبير علال: الثورة على سيدنا عثمان بن عفان، ص59.

[1] – بايع أهل المدينة و بعض أهل مكة عليا خليفة في سنة 36هـ/656م و رأى أنصار علي رضي الله عنه أن أملهم تحقق. ينظر: ألفرد بل: المرجع السابق،ص152.

[2] – يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري،ص10؛ خالد كبير علال:الصحابة المعتزلون للفتنة الكبرى،ط1، دار البلاغ للنشر و التوزيع،الجزائر،2003،ص: 8، 9؛ عبد العزيز المجدوب:الصراع المذهبي بإفريقية،ص31.

عليا و لا معاوية، و نظرت إليهما نظرة واحدة،و هذه الطائفة أطلق عليها اسم طائفة المرجئة، أما الطائفة الثالثة فهي التي ظلت متشبثة بموقفها السياسي المساند لعلي رضي الله عنه، و التشيع له دون قيد أو شرط، و هي التي عرفت لذلك التشيع السياسي بطائفة الشيعة.[1]

و بعد التحكيم استمرت الحرب بين أتباع علي رضي الله عنه و معاوية بن أبي سفيان، حتى انتهى الأمر فيما بعد بمقتل الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه على يد الخوارج ، يقول النوبختي: " ....حتى قتل علي –عليه السلام– قتل في شهر رمضان ضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنه الله ليلة تسع عشرة و توفي ليلة إحدى و عشرين ليلة الأحد سنة أربعين من الهجرة و هو ابن ثلث و ستين سنة..."[2]

و هكذا بدأت الأمور تسير شيئا فشيئا لمصلحة الأمير الأموي معاوية بن أبي سفيان الذي أعلن نفسه خليفة في السنة التالية 41هـ/661م، و قد اكتسب شرعيته بعد تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما على الخلافة حرصا على الجماعة، و اجتنابا للفرقة.[3]

أما الشيعة فكانت أهم حركاتهم الثورية خروج الحسين بن علي في أيام يزيد بن معاوية،و انتهت ثورته بقتله و جميع من كانوا معه في مذبحة كربلاء عام 61هـ/680م، كما أوقع يزيد بعد ذلك بأهل المدينة من الأنصار في موقعة الحرة سنة 63هـ/682م حيث كان الأنصار يعطفون على قضية الشيعة خاصة بعد مذبحة كربلاء التي أثرت فيهم كثيرا.[4] و رغم الإخفاقات السابقة واصل الشيعة كفاحهم من أجل ما يرون هم و أتباعهم حقا شرعيا لهم و المتمثل في الإمامة " الخلافة"، و لم يتحقق لهم ذلك رغم سقوط الدولة الأموية عام 132هـ/ 750م و قيام الدولة العباسية، و من ثم لم يجد الشيعة بدا من الاستمرار في تنظيم أنفسهم في محاولة جديدة للقضاء على الدولة العباسية التي لقي العلويون في عهدها مشقة و عناء يفوق ما كانوا يلاقونه أيام بني أمية، يقول أبو زهرة:"...و قد كان العصر الأموي محرضا على المغالاة في تقدير علي رضي الله عنه، لأن معاوية

---

[1] – يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري،ص:10، 11؛ عبد العزيز المجدوب:الصراع المذهبي بإفريقية،ص32.

[2] – النوبختي: فرق الشيعة،ص17.

[3] – بشير رمضان التليسي: : الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي ،ص258.

[4] – النوبختي: فرق الشيعة،ص23؛ألفرد بل: المرجع السابق،ص158؛ بشير رمضان التليسي: : الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي ،ص258

سن سنة سيئة في عهده و في عهد ابنه و من خلفه من الأمويين حتى عهد عمر بن عبد العزيز، و تلك السنة هي لعن إمام الهدى علي بن أبي طالب رضي الله عنه عقب تمام الخطبة، و لقد استنكر ذلك بقية الصحابة و نهوا معاوية وولاته عن ذلك، حتى لقد كتبت أم سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه كتابا تنهاه و تقول فيه" إنكم تلعنون الله و رسوله على منابركم، ذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طالب و من أحبه، و أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبه"و فوق ذلك فإنه في عهد يزيد قتل " الحسين بن علي" الذي هو و أخوه سيدا شباب أهل الجنة؟ كما ورد في الأثر- قتلة فاجرة و ذهب دمه عبيطا، من غير أن ترعى حرمة دين. و أخذت بنات " الحسين" و بنات علي رضي الله عنه سبايا إلى يزيد بن معاوية، و هم بنات النبي صلى الله عليه وسلم، و العترة النبوية الطاهرة..."[1]

و عندما اشتدت متابعة العباسيين للعلويين، اضطر العلويون أن ينهجوا نهجا آخر خوفا على أئمتهم فتبعوا مبدأ لتقية في تعيين الإمام، و في نشر الدعوة أيضا و كسب الأتباع، و قد حقق العلويون نتيجة لذلك نجاحا كبيرا شهد به خصومهم من العباسيين، فانتشر أتباع الشيعة- قبل قيام الدولة العبيدية بالمغرب الإسلامي- في كل من مصر، و بلاد الشام و اليمن و بلاد المغرب و في بغداد نفسها مركز الخلافة.[2]

و هكذا نشأ المذهب الشيعي، الذي ظل إمامه يطمح في إقامة دولة – علوية- شيعية تحل محل الخلافة العباسية، و تيسر ذلك الأمل جزئيا بقيام الدولة العبيدية في افريقية و بلاد المغرب منذ عام 297هـ/909م.

1-3-4- فرق الشيعة: تفرقت فرق الشيعة بين فرق غالوا، و فرق قد اقتصدوا، وفرق بين هؤلاء و أولئك، فالغلاة المتطرفون قد رفعوا عليا رضي الله عنه إلى مرتبة الألوهية[3] و منهم من رفعه إلى

---

[1] – أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص32.

[2] – بشير رمضان التليسي: : الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي ،ص259 .

[3] - على رأسهم عبد الله بن سبأ الذي لا يقل شأنا عن سلمان الفارسي غير أنه مال إلى عدم التصديق بهزيمة علي أو مقتله مؤكدا أن هذا الأخير يحمل رسالة إلهية (ليقود الناس بعصاه)و يجبر من خرجوا عليه من المسلمين على التسليم به، لذا ظل يترقب رجوعه؛ أنظر: مارشال هودجسون:كيف تطور التشيع إلى مذهب، مجلة الاجتهاد، العدد:19، السنة الخامسة،دار الاجتهاد للأبحاث و الترجمة و النشر، بيروت،لبنان، 1993،ص: 142، 143.

مرتبة النبوة، و جعلوه في منزلة أعلى من النبي صلى الله عليه وسلم ، و لنذكر بعض من هؤلاء الغلاة الذين خرجوا بمغالاتهم عن الإسلام، و ينكر الشيعة الحاضرون نسبتهم إلى الشيعة، و نحن ننكر نسبتهم إلى الإسلام. و من هؤلاء:

– السبئية(الغلاة):

وهم أول فرق الشيعة التي قالت بالغلو، وهم أتباع عبد الله بن سبأ،كان يهوديا من أهل الحيرة،و أمه أمة سوداء، و لذلك يقال عنه" ابن السوداء"، أظهر الإسلام في خلافة عثمان رضي الله عنه، و أخذ يطوف بالحجاز و البصرة و الكوفة و الشام و مصر، و كان له دور في الثورة على عثمان رضي الله عنه،ثم اتصل بعلي رضي الله عنه و أظهر له الولاء، ثم أخذ ينشر بين الناس أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصيا، و أن عليا رضي الله عنه وصي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، و أنه خير الأوصياء، ثم ناداه بصفات الألوهية: أنت الإله، فنفاه علي رضي الله عنه إلى المدائن، و نقل من أتباعه ممن قال له : أنت إله.[1]

و لما قتل علي رضي الله عنه استغل ابن سبأ محبة الناس له كرم الله وجهه و ألمهم لفقده، فأخذ ينشر حول موته الأكاذيب التي تجود بها قريحته إضلالا للناس و إفساداً لهم. فصار يذكر للناس أن المقتول لم يكن عليا رضي الله عنه و إنما كان شيطانا تصور للناس في صورته، و أن عليا رضي الله عنه صعد إلى السماء، كما صعد إليها ابن مريم عليه السلام، و أن الرعد صوته، و البرق تبسمه، و من سمع من السبئيين صوت الرعد يقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين، و قد روى عمر بن شرحبيل أن ابن سبأ قيل له: إن عليا رضي الله عنه قتل، فقال: إن جئتمونا بدماغه في صرة لم نصدق بموته،لا يموت حتى ينزل من السماء و يملك الأرض بحذافيرها.[2]

---

[1] – غلا ابن سبأ في علي رضي الله عنه و زعم أنه كان نبيا ثم غلا فيه حتى زعم انه إله، و دعا إلى ذلك قومه من غلاة الكوفة فرفع خبرهم إلى علي رضي الله عنه فأمر بإحراق قوم منهم في حفرتين، ينظر:المقريزي:المواعظ و الاعتبار،ج3،ص412؛ النوبختي:فرق الشيعة، ص19؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ص206 ؛ الشهرستاني: الملل و النحل،ج1،ص177؛محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص35 ؛عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص34.

[2] – البغدادي: الفرق بين الفرق، ص205؛محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص36.

و هذه الطائفة تزعم أن المهدي المنتظر إنما هو علي رضي الله عنه دون غيره، و في هذه الطائفة قال إسحاق بن سويد العدوي قصيدة برئ فيها من الخوارج، و الروافض، و القدرية منها، هذه الأبيات:

برئت من الخوارج لست منهم # من الغزال منهم و ابن باب
و من قوم إذا ذكروا عليا # يردون السلام على السحاب
و لكني أحب بكل قلبي # و أعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله و الصديق حبا # به أرجو غدا حسن الثواب

و إن من هؤلاء السبئية من كان يقول:أن الإله حل فيه و في الأئمة من بعده، و هو قول يوافق بعض الديانات القديمة التي كانت تقول بحلول الآلهة في بعض البشر، و أن روح الإله تتناوب الأئمة إماما بعد إمام، كما كان يقول المصريون القدماء في الفراعنة.[1]

و من السبئية أيضا طائفة كانت تقول عن علي رضي الله عنه :" إن الإله قد تجسد فيه" و قالوا له: " هو أنت الله".[2]

– الغرابية:

و هي فرقة من الغلاة، و هذه الفرقة لم تؤله عليا رضي الله عنه، كما فعل السبئية و لكنها كادت تفضله على النبي صلى الله عليه وسلم، فزعموا أن الرسالة كانت لعلي رضي الله عنه، و لكن جبريل عليه السلام أخطأ فنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بدل أن ينزل على علي رضي الله عنه، و سموا (الغرابية) لأنهم قالوا أنه يشبه النبي صلى الله عليه وسلم كما يشبه الغراب الغراب و الذباب بالذباب، و زعموا أن عليا رضي الله عنه كان الرسول و أولاده بعده هم الرسل. و هذه الفرقة تقول لأتباعها:" العنوا صاحب الريش"، يعنون جبريل عليه السلام، و كفر هذه الفرقة أكثر من كفر اليهود، فالغرابية من الرافضة[3] يلعنون جبريل عليه السلام و محمد صلى الله عليه وسلم..[1]

---

[1] – البغدادي: الفرق بين الفرق، ص206؛ الشهرستاني: الملل و النحل،ج1،ص177؛محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص36.

[2] – محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص36.

[3] – الرافضة: عرفهم المقريزي بقوله:(هم الغلاة في حب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، و بغض أبي بكر و عمر و عثمان و معاوية و آخرين من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، و سموا رافضة لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

– الزيدية:

تعتبر هذه الفرقة من أشهر فرق الشيعة و هي أقربها إلى مذهب أهل السنة و الجماعة و أكثرها اعتدالا ، و هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه، و كان تلميذا لواصل بن عطاء، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها، و لم يجوزوا ثبوت إمامة في غيرهم إلا أنهم جوزوا أن يكون كل (فاطمي) عالم شجاع سخي خرج بالإمامة يكون إماما واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أو الحسين رضي الله عنهم.[2]

و هذه الفرقة لم ترفع الأئمة إلى مرتبة النبوة، بل لم ترفعهم إلى مرتبة تقاربها بل اعتبروهم كسائر الناس، و لكنهم أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم،و قد خرج إمامها على هشام بن عبد الملك بالكوفة فقتل و صلب، و يحي بن زيد الذي خلفه في الإمامة قتل بجوزجان خراسان قتله أميرها، و محمد الإمام الذي خلف يحي قتله بالمدينة عيسى بن ماهان،و إبراهيم الإمام قتل بالبصرة أمر بقتله المنصور، و لم ينتظم أمر الزيدية بعد ذلك، و الزيدية ثلاثة أصناف جارودية و سليمانية و بترية، و الصالحية منهم و البترية على مذهب واحد.[3]

و الملاحظ على هذه الفرقة أنها لم تغل في عقائدها و لم يكفر الأكثرون منهم أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، و دليل ذلك ما أورده البغدادي بقوله:"... و كان زيد بن علي قد بايعه على إمامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة ، وخرج بهم على والي العراق و هو يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام بن عبد الملك على العراقيين، فلما استمر القتال بينه و بين يوسف بن عمر الثقفي قالوا له:" إنا ننصرك على أعدائك بعد إن تخبرنا برأيك في أبي بكر و عمر اللذين ظلما جدك علي بن أبي طالب"، فقال زيد:" إني أقول فيهما إلا خيرا، و ما سمعت أبي

رضي الله عنهم، امتنع من لعن أبي بكر و عمر رضي الله عنهما، و قال:" هما وزراء جدي محمد صلى الله عليه وسلم، فرفضوا رأيه)، المواعظ و الاعتبار،ج3،ص407.

[1] – المقريزي: المواعظ و الاعتبار،ج3،ص413؛ النوبختي، فرق الشيعة،ص19؛البغدادي: الفرق بين الفرق، ص221؛محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص36

[2] – الشهرستاني: الملل و النحل،ج1،ص153، 154؛محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص40 ؛عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص35.

[3] – المقريزي: المواعظ و الاعتبار،ج3،ص411؛الشهرستاني: الملل و النحل،ج1،ص156؛محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص–ص،41–43 ؛عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص35.

يقول فيهما إلا خيرا، و إنما خرجت على بني أمية الذين قتلوا جدي الحسين، و أغاروا على المدينة يوم الحرَّة، ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق و النار"، ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم:" رفضتموني" و من يومئذ سمو رافضة.[1]

–الإمامية[2]:

و هم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم نصا ظاهرا، و تعيينا صادقا، من غير تعريض بالوصف، بل إشارة إليه بالعين، و سموا إمامية لتركيز آرائهم حول الإمامة، و لقد اتفق الإمامية فيما بينهم على أن عليا رضي الله عنه وصي النبي صلى الله عليه وسلم بالنص، و قرروا أن الأوصياء من بعد علي رضي الله عنه هم أولاده من فاطمة، الحسن و الحسين رضي الله عنهما و هؤلاء هم المجمع عليهم، و يستدلون بحديث غدير خم الذي يزعمون فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن وصل إلى غدير خم أمر بالدوحات فقمن و نادوا الصلاة جامعة، ثم قال عليه السلام وهو على الرجال:" من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والي من والاه، و عاد من عاداه، و انصر من نصره،و اخذل من خذله، أدر الحق معه حيث دار، ألا هل بلغت ثلاثا"، فادعت الإمامية أن هذا النص صريح ، و يستدل الإمامية أيضا باستنباطات استنبطوها من وقائع كانت من النبي صلى الله عليه وسلم، و منها أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر على علي رضي الله عنه أحدا من الصحابة قط، حينما انفرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة أو سرية كان هو الأمير.[3]

و لم تقتصر هذه الطائفة على القول باستحقاق علي رضي الله عنه للخلافة بل حكموا بتكفير كل الصحابة و على رأسهم أبو بكر و عمر رضي الله عنهما، يقول الشهرستاني:"...ثم إن الإمامية

---

[1] – البغدادي: الفرق بين الفرق، ص44، 45.

[2] – **الإمامية**:"... ساقو الخلافة في ولد فاطمة بالنص عليهم واحدا بعد واحد ...يسمون الإمامية نسبة إلى مقالتهم باشتراط معرفة الإمام و تعيينه في الإيمان و هي أصل عندهم ... "، ينظر: المقريزي: المواعظ و الاعتبار،ج3،ص408 ؛ ابن خلدون: المصدر السابق،ج3،ص247.

[3] – الشهرستاني، الملل و النحل، ج1، ص163، 164؛ محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص46؛ ألفرد بل: المرجع السابق،ص155؛عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص35.

تخطت عن هذه الدرجة إلى الوقيعة في كبار الصحابة طعنا و تكفيرا، و أقله ظلما و عدوانا..."،[1] و قد شهدت نصوص القرآن على عدالتهم، و الرضا عن جماعتهم قال تعالى:(لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ)[2]، و كانوا إذ ذاك ألفا أربعمائة، و قال تعالى ثناء على المهاجرين و الأنصار و الذين اتبعوهم بإحسان،: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)[3]، و قال: (لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ)[4]، و قال: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ) [5]

و قد كانت الإمامية أول الأمر على مذهب أئمتهم في الأصول، ثم لما اختلفت الروايات عن أئمتهم و تمادي الزمان اختار كل فرقة طريقة، و صارت الإمامية بعضها معتزلة، إما وعيدية، أو تفصيلية، و بعضها إخبارية إما مشبهة و إما سلفية.و الجدير بالذكر أن فرقة الإمامية تميزت بعدائها و مخالفتها للزيدية و الكيسانية و الغلاة، و قد افترقت حسب البغدادي: "... إلى خمس عشرة فرقة: الكاملية، و المحمدية، و الباقرية، و الناووسية، و الشيميطية،و العمارية،و الإسماعيلية و المباركية، و الموسوية، و القطعية ، و الإثنا عشرية، و الهشامية ، و الزرارية، و اليونسية ،و الشيطانية."، بينما يذهب أبو زهرة في اختلاف فرقة الإمامية مذهبا أخر فيقول:"...و قد اختلفوا من بعد ذلك على فرق مختلفة الأئمة بعد هؤلاء، بل قيل أنهم قد اختلفوا من بعد ذلك على أكثر من سبعين فرقة. و أعظمها فرقتان، (الإثنا عشرية) و (و الإسماعيلية)."[6]

– الإثنا عشرية[7]:

---

[1] – الشهرستاني، الملل و النحل، ج1، 164

[2] – سورة: الفتح، الآية:18.

[3] – سورة التوبة، الآية:101.

[4] – سورة: التوبة، الآية:118.

[5] – سورة: النور، الآية:53.

[6] – البغدادي: الفرق بين الفرق، ص56؛ الشهرستاني، الملل و النحل، ج1، ص166؛ محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص46.

[7] – سموا بهذا الاسم لأنهم يؤمنون باثني عشر إماما متتابعين و هم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم ابناه الحسن فالحسين، فالحسين، ثم علي زين العابدين بن الحسين، ثم محمد بن علي، ثم جعفر بن محمد،ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم

يرى الإثنا عشرية أن الخلافة بعد الحسين رضي الله عنه لعلي زين العابدين، و من بعده لمحمد الباقر ثم لأبي عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر، ثم لابنه موسى الكاظم، ثم لعلي الرضا، ثم لمحمد الجواد ثم لعلي الهادي، ثم للحسن العسكري، ثم لمحمد ابنه، و هو الإمام الثاني عشر، و يعتقدون أنه دخل سردابا في دار أبيه و لم يعد بعد، ثم اختلفوا في سنه و وقت اختفائه، فقيل كانت سنة إذ ذاك أو أربع سنين و قيل ثماني سنوات،و يزعمون أنه لا يزال يعيش منذ ذلك الحين مستورا عن الناس في مكان خفي، إلى أن يظهر في لآخر الزمان، و كذلك اختلفوا في حكمه، فقال بعضهم إنه كان في هذه السن عالما بما يجب أن يعلمه الإمام، و أن طاعته كانت واجبة، و قال آخرون: كان الحكم لعلماء مذهبه. و إن الإمامية الإثنا عشرية كسائر الإمامية يفرضون في الإمام سلطانا مقدسا يأخذه بإيصاء عن النبي صلى الله عليه وسلم.[1]

و عقيدة هذه الفرقة التوحيد المحض بالنسبة لصفات الله، و تنزيه الخالق، و بطلان التناسخ و الإتحاد و الحلول و التجسيم و غير ذلك مما تورطت فيه فرق كثيرة من فرق الشيعة، و الإثنا عشرية يزيدون على أركان الإسلام ركنا سادسا هو الاعتقاد بالإمامة. و يقولون برجعة الإمام المعروف عندهم باسم المهدي المنتظر.[2]

و من العجب أن القائلين بإمامة المنتظر مع هذا الاختلاف العظيم لا يستحيون فيدعون فيه أحكام الإلهية و يتأولون قوله تعالى عليه: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ)[3] قالوا هو الإمام المنتظر الذي يرد إليه علم الساعة، و يدعون فيه انه لا يغيب عنا، و يستخبرنا بأحوالنا حين يحاسب الخلق.[4]

محمد بن =علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم محمد بن الحسن، ينظر: هنري كوربان: تاريخ الفلسفة الإسلامية، =ترجمة نصر مروة و حسن قبيسي،ط2،عويدات للنشر و الطباعة،بيروت،1998،ص76و ما بعدها؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص35.

[1] – محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص46، ألفرد بل: المرجع السابق،ص155.

[2] – عبد المجيد معلومي: المرجع السابق،ص35.

[3] – سورة: التوبة، الآية:106.

[4] – الشهرستاني، الملل و النحل، ج1، ص176.

و ما لبث الشيعة الإثناعشريون من بعد و الذين وصفوا أنفسهم بالمعتدلين أن استخدموا مفرد الغلاة للدلالة على كل شيعي آخر متطرف ذي أفكار أثارت في أنفسهم صدمة معينة ، و تعتبر إدانة الشيخين و عثمان أول ما قد يؤدي إلى إطلاق صفة الغلو على شخص ما، فقد كان ابن سبأ أول من نشر عقيدة الغلو و عقيدة الوقف و هي رفض التسليم بموت آخر الأئمة و عددهم إثنا عشر إماماً.[1]

– **الإسماعيلية**[2]:هم أحد فرق الشيعة الباطنية[3] نادوا بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، و قد اختلف أحفاد الحسين فقد تخلى جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العبدين بن الحسين عن محمد بن عبد الله لبن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه،و أخذ جعفر الصادق يعمل ليصل أبناؤه من بعده للخلافة و استطاع أن يقنع بقايا العلويين من نسل الحسن على تأييده باعتباره الوارث الحقيقي للخلافة عن علي و فاطمة رضي الله عنهما، و جعفر الصادق هو الإمام السادس – المعصوم– عند طائفة الإمامية التي ترى أن الإمامة تكون في سلالة علي رضي الله عنه عن ابنه الحسين و لا تكون في الأعقاب، و بعد موت جعفر الصادق سنة

---

[1] – مارشال هودجسون:كيف تطور التشيع إلى مذهب،ص 146.

[2] – **الإسماعيلية**: الإسماعيلية طائفة من الإمامية، سموا بالواقفية لأنهم يوقفون الأئمة عند إسماعيل بن جعفر الصادق، و يقولون بتعيينه بالنص من أبيه، و قد افترقوا فرقتين فرقة منتظرة لإسماعيل بن جعفر، مع اتفاق أصحاب التواريخ على موت إسماعيل في حياة أبيه، و فرقة قالت: كان الإمام بعد جعفر سبطه محمد بن إسماعيل بن جعفر؛ حيث أن جعفر نصب ابنه إسماعيل للإمامة بعده،فلما مات إسماعيل في حياة أبيه علمنا انه إنما نصب ابنه إسماعيل للدلالة على إمامة ابنه محمد بن إسماعيل، و إلى هذا القول مالت الإسماعيلية من الباطنية، ينظر: البغدادي: الفرق بين الفرق، ص63؛هنري كوربان:تاريخ الفلسفة الإسلامية،ص132 و ما بعدها؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق، ص35.

[3] – **الباطنية**: : يعرفهم الشهرستاني بقوله:"...و إنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم، بأن لكل ظاهر باطنا، و لكل تنزيل تأويلا، و لهم ألقاب كثيرة منها القرامطة، الملحدة...."، أبو زهرة فيعرفهم:"...و قد سموا الباطنية أو الباطنيين، و ذلك لاتجاههم إلى الاستخفاء عن الناس الذي كان وليد الاضطهاد أولا، ثم صار حالة نفسية عند طوائف أخرى،و منهم الذين كانوا يسمون بالحشاشين، و قد ظهرت أعمالهم في أبان الحروب الصليبية و إبان حرب التتار. و كان بعضها سوءاً على الإسلام و المسلمين."، الشهرستاني: الملل و النحل،ج1، ص201، 202؛محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص52؛ للمزيد ينظر: محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني:كشف أسرار الباطنية و أخبار القرامطة و كيفية مذهبهم و بيان اعتقادهم، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة الساعي، الرياض، 1985، ص22 و ما بعدها.

148هـ/765م انقسمت الإمامية إلى فريقين الموسوية الذين نادوا بإمامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق، و الإسماعيلية الذين نادوا بأنه إسماعيل بن جعفر الصادق و هو أكبر أولاد أبيه.[1]

و يقول النوبختي فيها:"...و فرقة زعمت أن الإمام جعفر بن محمد ابنه اسمعيل بن جعفر، و أنكرت موت اسمعيل في حياة أبيه و قالوا كان ذلك على جهة التلبيس من أبيه على الناس لأنه خاف فغيبه عنهم، و زعموا أن اسمعيل لا يموت حتى يملك الأرض يقوم بأمر الناس و أنه هو القائم لأن أباه أشار عليه بالإمامة بعده و قلدهم ذلك له و أخبرهم أنه صاحبه و الإمام لا يقول إلا الحق فلما ظهر موته علمنا أنه قد صدق و أنه القائم و أنه لم يمت، و هذه هي الفرقة هي " الإسماعيلية الخالصة..."[2]

و يؤكد ذلك الإمام أبو زهرة فيقول:"...أما الإسماعيلية فيقررون أن الإمام بعد جعفر الصادق ابنه إسماعيل. و قد قالوا عن ذلك كان بنص من أبيه جعفر و لكنه مات قبله، و مع انه مات قبله أعملوا النص على إقامته من بعده، و كان إعمال هذا النص، بأن تبقى الإمامة في عقبه، فإن إعمال النص الذي يقوله الإمام أولى من إهماله. و لا عجب في ذلك، فإنهم يعتبرون أقوال الإمام كنصوص الشرع تماما، يجب إعمالها، و لا يسوغ إهمالها ، و قد انتقلت عن طريق إسماعيل إلى ابنه محمد المكتوم و هذا أول الأئمة المكتومين، أو المستورين إذ هم يقررون أن الإمام يصح أن يكون مستورا و تجب طاعته، و لا يمنع ذلك من إمامته..."[3]

بينما يذهب الشهرستاني إلى القول:"...الواقفية قالوا عن الإمام بعد جعفر، إسماعيل نصا باتفاق من أولاده، إلا أنهم اختلفوا في موته في حال حياة أبيه. فمنهم من قال لم يمت إلا أنه أظهر موته تقية من خلفاء بني العباس و عقد محضرا، و أشهد عليه عامل المنصور بالمدينة، و منهم من قال الموت صحيح، و النص لا يرجع قهقرى، و الفائدة من النص بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيره، فالإمام بعد إسماعيل محمد بن إسماعيل..."[4]

---

[1] – البغدادي: الفرق بين الفرق، ص62؛ محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص50؛ ألفرد بل: المرجع السابق،ص155.

[2] – النوبختي: فرق الشيعة، ص57، 58.

[3] – محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص51؛ عبد المنعم الحفني:الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية ،ص43.

[4] – الشهرستاني: الملل و النحل،ج1،ص170، 171.

و يسمون أيضا بالباطنية لقولهم: إن القرآن ظاهرا و باطنا و لاعتقادهم بالإمام الباطن،و قد أثبتت المصادر التاريخية إن من وضعوا أساس مذهب الإسماعيلية كانوا من المجوس. و أهم مبادئهم:

– القول بقدم العالم و أن له مدبرين: الأول الله و الثاني النفس.

– الإمام يعين بالنص لا بالانتخاب.

– تكفير من اغتصبوا الخلافة من الإمام.

– للقرآن معنى ظاهر و معنى باطن لا يعلم باطنه إلا الأئمة، لأنهم ورثوا علم الباطن.

– لا يؤمنون بعلم و لا بحديث إلا ما روي عن أئمتهم.

– إنكار معجزات الأنبياء.

– إباحة المحرمات و المحارم، فأباحوا شرب الخمر و البنات و الأخوان و جميع الملذات.[1]

1–3–5– دخول و انتشار المذهب الشيعي في بلاد المغرب الإسلامي:

لقد كانت بداية دخول الشيعة إلى بلاد المغرب و انتشاره على يد الداعيين الّذين أرسلهما الإمام جعفر الصادق– هذا تلفيق و كذب على جعفر الصادق فالمعروف أن الشيعة لفقوا أكثر من 300 ألف حديث–(ت148هـ/765م)[2] إلى بلاد المغرب و قال لهما:" إنكما تدخلان أرضا بورا لم تحرث قط فاحرثاها و كرباها و ذللاها حتى يأتي صاحب البذر فيضع حبه فيها"[3].

و كان وصول الداعيين إلى مرماجنة[4] بلاد المغرب عام 145هـ/762م ،أولهما كان أبو سفيان الحسن ابن القاسم الذي نزل بإحدى المدن المغربية و اسمها تالة و أقام بها مسجد وأظهر العبادة و

---

[1] – محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية،ص52 ؛ عبد المجيد معلومي، المرجع السابق،ص36.

[2] – هو الإمام أبو جعفر الصادق بن محمد بن علي زين العابدين بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعا، ولد بالمدينة المنورة سنة (80هـ/699م) و هو الإمام السادس في اعتقاد الشيعة توفي سنة (148هـ/765م) ينظر: أبي العباس شمس الدين ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،تحقيق: إحسان عباس،ج1، دار صادر،بيروت،1968، ص 327، 328.

[3] – المقريزي: اتعاظ الحنفا،ج1،ص41؛إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، مؤسسة الرسالة، بيروت،2005،ص293؛ بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي ، ص263.

[4] – **مرماجنة:** مدينة كبيرة قديمة أزلية، فيها أثار كثيرة و لها عيون سائحة و هي على نظر واسع كثير الزرع و الخيرات، ينظر: مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد،دار الشؤون الثقافية العامة،

النسك و الفضل فأقبل عليه الكثير من الناس من جميع الجهات، فكان يروي لهم أحاديث في فضل آل البيت و علمهم و قد تشيع على يده عدد كبير من أهل هذا البلد.

أما الداعية الثاني فكان يدعى عبد الله ابن علي ابن أحمد المعروف بالحلواني الذي نزل بإحدى المدن التونسية، فتزوج و ابتنى مسجدا و أظهر العبادة و النسك، فلم يزل يدعو الناس لطاعة أهل البيت و ينشره في أوساط سكانها حتى تشيع به كثير من أهل تلك المدينة، وقد وجد عدد كبير ممن يحمل الفكر الشيعي و يدين به، و ذلك قبل دخول أبي عبد الله الشيعي، و لعل ذلك بتأثير دعوة هذين الرجلين و سريانها في المغرب[1]

و من هنا يمكننا القول: أن هذه الرواية المنقولة عن الإمام جعفر الصادق لا ندري مدى صحتها، لأننا نعتقد أن الإمام جعفر الصادق كان من أهل السنة الذين يوالون أصحاب رسول –الله صلى الله عليه وسلم– جميعا و لا يفرقون بين أحد منهم، فلا يعقل أن يرسل داعيين ليمهدا بدعوتهما إلى قيام دولة باطنية ملحدة تضمر الإلحاد، و تظهر الإسلام و حب آل بيت الرسول — صلى الله عليه وسلم– و إذا سلمنا أن هذه الرواية صحيحة فعلى افتراض لا يعدوا أن يكون إرسال هذين الداعيين، هو دعوة أهل تلك البلاد إلى الإسلام الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه و سلم، و مهما يكن الأمر فإن بجهود هذين الداعيين دخل التشيع إلى المغرب الإسلامي.[2]

فقد لعب الداعيان دورا بارزا في بذر بذور التشيع ، و يبدوا أن مهمتهما كانت محدودة في هذا الإطار فلم نسمع عن ثورة شيعية قامت قبل مجيء أبي عبد الله الشيعي كانت من نتائج جهود الداعيين أبي سفيان و الحلواني، ثم تنقطع الأخبار حول جهود دعاة الشيعة في بلاد المغرب و لفترة ليست قصيرة إذ إن المدة التي تفصل بين الداعيين و بين قدوم أبو عبد الله الشيعي كانت طويلة أي حوالي130سنة [3]،خلال هذه الفترة كلف أبو سفيان و الحلواني بتهيئة الأذهان و النفوس

بغداد،ب.ت،ص162؛ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج5،ص109؛ البكري:المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب،ص715.

[1] – إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص293؛ بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي، ص264.

[2] – إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص292.

[3] – بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي، ص265.

لتقبل تعاليم المذهب و مبادئه، إلى أن يحين زمن نشر هذه التعاليم و أساسها أحقية آل البيت في الإمامة. لينتقل بعد ذلك إلى العمل العسكري، بتأسيس إمارة شيعية و هو كلف به أبا عبد الله الداعي سنة 280هـ/893م ،[1]وهو الذي لم يقَّدر لهذين الداعيين أن يشهداه أو يعودا إلى المشرق، إذ ماتا حيث قاما بدعوتهما، و بهما انتشرت الدعوة الشيعية في جزء كبير من بلاد المغرب و أصبحت تلك البلاد مهيأة لقدوم الداعي صاحب البذر الذي سيبذر فيها دعوة آل البيت و مذهبهم،هذا الداعي هو أبو عبد الله الشيعي[2]، الذي سيره أبو الشلعلع إلى المغرب و أمره بالمرور على ابن حوشب باليمن ليفيد من علمه ، فجاءه و لزمه و أفاد منه حتى صار من كبار أصحابه فعهد إليه ابن حوشب بالذهاب إلى المغرب للدعوة، و قال له:" إن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني و أبو سفيان، و ليس لها غيرك فبادر،فإنها موطأة ممهدة" [3]،و قبل التوجه إلى المغرب– كما أمر– مر أبو عبد الله الشيعي بمكة المكرمة و ذلك أواخر ذي القعدة و بداية ذي الحجة سنة 279هـ/892م حيث لقي جماعة كتامة[4] الذين يسروا له الطريق إلى المغرب التي دخلها

---

[1] – بوبة مجاني: المذهب الإسماعيلي و القيادات الدينية و العسكرية الكتامية في المرحلة المغربية، فصل من كتاب(قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي)،ط1،دار بهاء الدين للنشر و التوزيع،قسنطينة، الجزائر،2007،ص80.

[2] – هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا، و أصله من الكوفة و يعرف بالمعلم، ذهب إلى اليمن التي كانت مركزا هاما للدعوة الشيعية و هناك اتصل بداعي الشيعة فيها و اسمه ابن حوشب، فأخذ يحضر مجالسه و يفيد منه و يتمثل لأمره، و لما وثق به ابن حوشب أرسله للدعوة بالمغرب، قتل على يد عبيد الله المهدي سنة297هـ ينظر: ابن عذاري:البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1،ص164؛أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي: افتتاح الدعوة،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان،2005،ص26؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج14،ص–ص، 57– 59؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق،ج7، ط1، دار الكتب العلمية،بيروت،1987،ص–ص،31–37؛ المقريزي: إتعاظ الحنفا،ص–ص، 84– 88.

[3] – القاضي النعمان: افتتاح الدعوة،ص 26؛ ألفر بل: المرجع السابق، ص157؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص294؛ بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي، ص266.

[4] – يذكر القاضي النعمان اجتماع عبد الله الشيعي برجال كتامة بمكة و مسيرهم لبلاد المغرب بقوله: " ووصل أبو عبد الله مع جملة الحجيج من أهل اليمن إلى مكة، فلما قضى الناس حجهم و استقروا بمنى جعل أبو عبد الله يمشي بمنى، فمر على جماعة من رجال كتامة ممن حج تلك السنة، و هم في رحالهم و فيهم من الشيعة الذين كانوا تشيعوا بأسباب الحلواني رجلان: حريث الجميلي و موسى بن مكارمة، فسمعهما أبو عبد الله يذكران لأصحابهما فضائل علي رضي الله عنه، فجلس إليهما يذكر شيئا من ذلك معهما، فأقبل عليه جميعهم، و حدثهم حديث طويلا ثم نهض ليقوم فقاموا معه و مشوا لمشيه و قالوا: نحب أن نعرف مكان رحلك فجاء بهم إليه، فلما كان من غد أتوه فحدثهم و أوسع في الحديث، و ازدادوا فيه رغبة و عليه إقبالا،

في ثوب معلم للقرآن[1]، و قد تم استقباله عند وصوله من طرف أبو عبد الله علي بن حمدون بن سماك الجذامي الأندلسي الذي تربطه علاقة مصاهرة مع قبيلة جيملة [2] فزوجته كانت إحدى بناتها، و يعتقد أن رئاسة الدعوة في المغرب آلت إليه بعد موت الحلواني و أبي سفيان، و قد كان لهذه القبيلة السبق في اعتناق المذهب و احتضان دعاته، كما كان لها السبق كذلك في حمل السلاح للتمكين للمذهب. فالداعي استقر عند فرع من فروعها و هم بنو سكتان و كانت جيملة هي النواة التي كونت الجهاز العسكري العبيدي في بلاد المغرب[3].

و عندما تيقن أبو عبد الله من نصرة كتامة لدعوته ، أعلن بإمامتهم للرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم و قال:" أنتم أنصار أهل البيت و شيعتهم"، و أخبرهم عن نفسه بأنه صاحب البذر الذي ذكر لهم أبو سفيان و الحلواني، ثم قال لهم:" أنا لا أدعوكم لنفسي، و إنما أدعوكم لطاعة الإمام المعصوم من أهل البيت." ، عند ذلك أعلن أهل كتامة طاعتهم له، و بدأ هو في تنظيم مجتمعهم بمحاربة بعض السلوكات القبيحة [4] – كما زعم– [1] أما عن أسلوب الدعاية الإسماعيلية

فجعل يسألهم عن بلدهم فيخبرونه، فلما حضر النفر من منى قالوا: أين توجهك؟ فقال: إلى مصر، فسروا بذلك و رحلوا برحله و جعلوا يمشون حوله إذا سار و ينزلون بقربه إذا نزل و يخدمونه و يعظمونه. فلما نزلوا أول منهل اشتروا له شاة فذبحوها و هيأوا له طعاما و نزلوا معه فأتوه بطعام قال: ما هذا؟ قالوا: هذه سنتنا في الضيف، و أنت ضيف فينا فداراهم في ذلك....و كذلك شأن كتامة اليوم، يعظمون من كان قبله أقل شيء من العلم و يقدمونه، حتى المعلم الذي يكون عندهم و إن كان لا يحسن غير القرآن فإنه له عندهم قدرا و حالا و مكانا." للمزيد عن بقية تفاصيل رحلة حجاج كتامة بصحبة عبد الله الشيعي من مكة باتجاه بلاد المغرب، ينظر: القاضي النعمان: افتتاح الدعوة،ص29 و ما بعدها.

[1] – إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص295 .

[2] – هي قبيلة جيملة الكتامية التي تتميز بالبأس و الشدة و الأموال، و لقد اختيرت لأنها تتوفر على عوامل النجاح، فأراضيها تصلح للعمل الدعوي، كما تصلح للعمل العسكري بسبب طبيعتها الجبلية الوعرة، كما إنها تقع على طرف افريقية فهي بعيدة عن قلب الإمارة الأغلبية.ينظر: القاضي النعمان: افتتاح الدعوة،ص36؛ بوبة مجاني: المذهب الإسماعيلي و القيادات الدينية و العسكرية الكتامية في المرحلة المغربية،ص81؛ رشيد بورويبة: الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977،ص 163.

[3] – بوبة مجاني: المذهب الإسماعيلي و القيادات الدينية و العسكرية الكتامية في المرحلة المغربية،ص80، 81.

[4] – على العكس من ذلك كانت قبيلة كتامة على أفضل حال من جميع الجوانب عكس بني عبيد و سيرتهم ببلاد المغرب، و ما يؤكد ذلك ما يورده إبراهيم التهامي بقوله:" ...و الذي يؤكد هذا سلوك بني عبيد و سياستهم المنحرفة في المجالات المختلفة، فقد كان سلوكهم لا يمت إلى الإسلام بصلة حيث تميز حكمهم بقتل العلماء، و العمل على إزالة ملة الإسلام و إشاعة الفاحشة و إباحة الخمر و الفروج...." إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص297؛أما

قبل قيام الدولة العبيدية، فيختلف عنه بعد قيامها، حيث ارتكز على الإقناع السلمي[2]، و التركيز كان على الريف المغربي- كتامة- حيث ركزت الدعوة الإسماعيلية نشاطها في المناطق الريفية الأقل تحضيرا و البعيدة عن المراكز الإدارية الحيوية، لهذا اختيرت منطقة كتامة الجبلية الريفية لتكون مجالا لبذر المبادئ الشيعية الداعية إلى إقامة إمامة إسماعيلية، و استطاع الداعي أن يكون مجتمعا جديدا من مجتمع كتامة الريفي بفضل بعد نظره و ذكائه و خبرته، فاصطنع لنفسه منهجا ربَّى عليه أتباعه ليصبح ولاء الفرد فيه ولاء للمذهب و ليس للقبيلة أو العصبية، و هذا بفضل سيرته فيهم و بما تميزت به تصرفاته من تعفف و إعراض عن الحياة الدنيا.[3]

و لقد ترك الداعي تازورت و استقر في إيكجان،و هذا من أجل أن ينقل الدعوة إلى مرحلتها العسكرية الهجومية حيث بدأ في حشد أكبر عدد من البربر ليكون جيشا قويا قادرا على التغلب على الأغالبة، ليبسط سلطان الدعوة الشيعية،الدينية، لان الغرض من حركته كان إحلال مذهب الشيعة محل مذهب أهل السنة المعادي لمذهب الشيعة.[4]إذن باسم الدعوة الدينية قام الداعي الشهير بتمهيد السبيل لمجيء مولاه "المهدي" عبيد الله[5]، و ذلك بتحقيق انتصارات و مكاسب

حال قبيلة كتامة فيورده ابن حوقل بقوله:" ...و كتامة يضيفون المارة و يطعمون الطعام، و يتخلق قوم منهم بخلق ذميم من بذل أنفسهم لأضيافهم على سبيل الإكرام و لا يحتشمون به...." للمزيد ينظر: أبي القاسم ابن حوقل النصيبي: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992،ص91.

[1] – إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص295 .

[2] -Charles(A . J), Histoire De L'afrique Du nord, payot, paris, 1952, p54.

[3] – بوبة مجاني: المذهب الإسماعيلي و فلسفته في بلاد المغرب، منشورات الزمن، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء، المغرب،2005، ص54.

[4] – ألفرد بل: المرجع السابق، ص157؛ بوبة مجاني: المذهب الإسماعيلي و القيادات الدينية و العسكرية الكتامية في المرحلة المغربية،ص85.

[5] – عبيد الله المهدي اختلف في نسبه فادعى انه عبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، و قال سائر الناس إنه دعي، و إن انتسابه للطالبيين دعوة باطلة؛ و ذكروا عن أبي القاسم ابن طباطبا العلوي انه قال:" و الله الذي لا إله إلا هو ! ما عبيد الله الشيعي منا، ولا بيننا و بينه نسب" و قال مقاتل: هو عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن البصري، و قد فضح القاضي أبو بكر ابن الطيب الباقلاني نسبه في كتاب(كتاب كشف الأسرار،و هتك الأستار) و ذكر:" أنهم قرامطة، و أن أبا عبد الله الشيعي أحدث لهم هذا المذهب، و نسبهم هذا النسب."، و حكى بعض المؤرخين أن جعفر بن علي كانت له جارية، فغشيها رجل من القرامطة، و قيل من اليهود، دفعت له مالا؛ فكان يهواها و

إقليمية؛ فدفع قبيلة كتامة إلى مهاجمة دولة الأغالبة أولا[1]، حيث استطاع أن يقضي على الدولة الأغلبية و نزل برقادة حيث غادرها آخر ملوك الأغالبة زيادة الله فاراً إلى المشرق[2]، فبعث حينئذ إلى عبيد الله "المهدي" بن محمد بن الحبيب بن جعفر المصدق بن إسماعيل بن جعفر الصادق زعيم الإسماعيلية و إمامها يستقدمه و هو يومئذ مستخفيا بمصر، فخرج و معه ولده أبو القاسم و أبو العباس أحمد أخو الصنعاني، و اضطر إلى تجنب المناطق المراقبة خوفا من أن يقع في أيدي الأغالبة و قد علموا برحلته، لكنه وصل إلى سجلماسة في الجنوب، في نواحي تافيلالت، فوقع في قبضة أمراء بني مدرار في النواحي، و كانوا من الخوارج المتهاودين، فألقوا به في السجن، بناء على أمر الخليفة العباسي، و كانوا آنذاك على علاقة طيبة، و هنا جاء داعيه المخلص أبو عبد الله الشيعي حوالي 297هـ/909م لتخليصه من السجن، بعد أن كان قد بسط نفوذه على الأغالبة في افريقية أولا [3].

و دولة الرستميين في تيهرت ثانيا[4]، حتى أن المدّ الشيعي قد وصل إلى منطقة السوس متمثلا في الشيعة البجلية.[5] حيث يذكر ابن عذاري طريق جيوش أبي عبد الله الشيعي و دخوله مدينة سجلماسة بقوله: "... و نظر أبو عبد الله في إقامة الجيوش و الاستعداد للغزو إلى سجلماسة. و

تهواه، و قتلت جعفرا مولاها؛ فولدت جد عبيد الله هذا. فمن خفيت عليه هذه القصة قال أنه علوي، و من علمها علم دعوته و كذبه. ينظر: ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1،ص158، 159.

[1] – ألفرد بل: المرجع السابق،ص 157، 158.

[2] – ابن عذاري:البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1،ص–ص،146- 149.

[3] – القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص 101؛ابن عذاري:البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1،ص ألفرد بل: المرجع السابق،ص 158.

[4] – للرجوع إلى حيثيات سقوط الدولة الرستمية على يد أبي عبد الله الشيعي ينظر:القاضي النعمان: افتتاح الدعوة،ص141 و ما بعدها؛ ابن عذاري:البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1،ص153؛ بحاز إبراهيم بكير: الدولة الرستمية، ص128.

[5] – عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت (الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري)،ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن– فرجينيا ،1995،ص50.

كان بها عبيد الله الشيعي، و ابنه أبو القاسم، محبوسين....و استخلف على افريقية أخاه العباس...." [1] ، فسار أبو عبد الله حتى حل بمدينة تيهرت؛ فدخلها بالأمان، و قتل بها من الرستمية يقظان بن أبي اليقظان ثم نهض حتى احتل على مدينة سجلماسة يوم السبت لست خلون من ذي الحجة. فأحاط بها جموعه و جيوشه، و حارب يوم الأحد لسبع خلون منه؛ ففتحها في هذا اليوم، و أخرج منها عبيد الله الشيعي و ابنه أبا القاسم؛ و كانا محبوسين في غرفة عند مريم بنت مدرار. فلما بصر به أبو عبد الله الشيعي ترجل له، و خضع بين يديه، و بكى من إفراط سروره به. ثم مشى أمامه راجلا حتى أنزله في الفازة و سلم إليه الأمر، و قال لمن معه:" هذا هو مولاي و مولاكم! قد أنجز الله وعده، و أعطاه حقه، و أظهر أمره!" و انتهب أبو عبد الله الشيعي و رجاله...."[2] و رجع به قافلا إلى إفريقية.

و يذكر القاضي النعمان قدوم "المهدي" من سجلماسة إلى افريقية قائلا:" ...و أقبل "المهدي" فلما حاذى بلد كتامة مال إليه ووصل إلى ايكجان و أمر بإحضار الأموال التي كانت على أيدي الدعاة و المشايخ، و كانوا قد دفنوها هناك، فأحضروها إليه و أمر بقبضها منهم و شدها أحمالا و قدم بها، فكان ذلك من أول ما أحال القلوب الفاسدة و توهموا أنهم يكونون كما عودهم أبو عبد الله يأمرون و ينهون و يقبضون و يبسطون."[3]

و يروي أيضا ابن الأثير خبر قدوم عبيد الله "المهدي" من سجلماسة بقوله:"...فلما قرب من رقادة تلقاه أهلها و أهل القيروان[4] و أبو عبد الله، و رؤساء كتامة مشاة بين يديه، وولده خلفه،

---

[1] – يبدو أن أبا العباس قد تحين فرصة خروج أبي عبد الله الشيعي لإنقاذ عبيد الله المهدي من سجلماسة، ليقوم باضطهاد فقهاء القيروان، و إرغامهم على تقبل المذهب الإسماعيلي، بل و أقدم على قتل بعضهم منهم ابراهيم بن محمد الفقي و أبو بكر بن هذيل و علي بن أبي العباس قتلهم بتهمة الطعن في إمامة علي رضي الله عنه ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج7، ص461.ابن عذاري:البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1،ص155 .

[2] – القاضي النعمان: افتتاح الدعوة،ص168؛ابن عذاري:البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1،ص 151، 152.

[3] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص176.

[4] – أول المدن التي أنشاها المسلمون أثناء الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، أسسها عقبة بن نافع الفهري سنة 50هـ/670م، تعتبر منبر و منارة العلم، و مركز أشعاع و انتشار الحضارة و العمران ببلاد المغرب، للمزيد ينظر دراسة: أمبارك بوطارن: تطور

فسلموا عليه، فرد جميلا و أمرهم بالانصراف و نزل بقصر من قصور رقادة.و أمر يوم الجمعة بذكر اسمه في الخطبة في البلاد، و تلقب "بالمهدي" أمير المؤمنين...."[1]، و من هنا نلاحظ أنه لم يكن هدف العبيديين في بلاد المغرب تأسيس دولة لهم فحسب، بقدر ما كانوا يعتقدون أنه لا خلاص للناس إلا إذا اعتنقوا المبادئ الشيعية، حيث كانت المذاهب الدينية تمثل الاتجاه السياسي، و بخاصة خلال القرن الرابع الهجري الحادي عشر ميلادي و من ثم عمل العبيديون منذ الأيام الأولى لتأسيس دولتهم على انتهاج طريقين لاستدراج الناس و دعوتهم إلى مذهبهم.

الطريقة الأولى: أظهر فيها العبيديون مزيجا من الشدة و اللين إذ يروي ابن الأثير ذلك بقوله:"... و جلس بعد الجمعة رجل يعرف بالشريف، و معه الدعاة، و أحضروا الناس بالعنف، و دعوهم إلى مذهبهم، فمن أجاب أحسن إليه، و من أبي حبس، فلم يدخل في مذهبهم إلا بعض الناس- و هم قليل- و قتل كثير ممن لم يوافقهم على قولهم...."، و إذا سلمنا بقول ابن الأثير، فإن عبيد الله "المهدي" أحب منذ الأيام الأولى لخلافته أن يغير الاتجاه المذهبي لأهل افريقية تمهيدا لنشر المذهب الشيعي في جميع المناطق التي تخضع لسلطاه و لكنه اصطدم بإتباع المذهب المالكي الذين رفضوا دعوته، ووقفوا ضد أتباع الشيعة، و لقي عدد منهم القتل ليكونوا عبرة لغيرهم. [2]

و هذا ما يؤكده كلام ابن عذارى الذي ذكر:".... أن عبيد الله "المهدي" بمجرد وصوله من سجلماسة إلى القيروان[3] حتى أظهر تشيعه القبيح، فسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم و أزواجه، و حكم بكفرهم و ارتدادهم عن الإسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، و لم

=العمران الإسلامي مدينتا القيروان و سجلماسة نموذجا(دراسة تاريخية عمرانية)، أطروحة دكتوراه ،معهد الآثار ، جامعة الجزائر،2006،ص-ص:242- 254.

[1] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج7، ص461.

[2] – ابن الأثير: المصدر نفسه،ج7، ص461، بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي، ص264.

[3] – رأى المهدي عبيد الله أن من الخير إلا يتخذ من القيروان عاصمة له، لأنها كانت شديدة التعرض لهجمات البربر، و هو لم يكن يثق بهؤلاء، فأمر بتأسيس مدينة على لسان صغير يتقدم في البحر جنوبي المنستير و يسهل حمايتها من ناحية البر، و هي مدينة المهدية نسبة إليه و المعروفة باسم البيضاء أيضا، و صارت قاعدة حكمه و حكم العبيديين طول إقامتهم بالمغرب،و كان آخر عهده بها إلى أن رفع مصلوبا على سورها. ينظر:القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص199؛ ألفرد بل، المرجع السابق، ص185.

يستثن منهم إلا عليا و بعضا قليلا ممن أيدوه.....و منع المروزي الفقهاء أن يفتي أحدهم إلا بمذهب زعم أنه مذهب جعفر بن محمد..." [1]

"..... و مدحت الشعراء عبيد الله بالكفر، فاستجازه..."، و كان فيما مدح به شعر لمحمد بن البديل: حل برقادة المسيح # حل بها آدم و نوح

حل بها أحمد المصفى # حل بها الكبش و الذبيح

حل بها ذو المعالي # و كل شيء سواه ريح

وكانت أيمان كتامة أول دخولهم افريقية:"..و حق عالم الغيب و الشهادة مولانا المهدي الذي برقادة!"، و قد سخر بعض أحداث القيروان من تلك الدعاوي، و كتب هذين البيتين إلى "المهدي" و أرسلهما إليه في بطاقة يقول فيها:

الجور قد رضينا # لا الكفر و الحماقة

يا مدعي الغيوب # من كاتب البطاقة [2]

الطريقة الثانية:و هي محاولة الحوار مع بعض علماء مذهب مالك لإقناعهم بأحقية العلويين في الإمامة، و بفضل علي رضي الله عنه و بنيه و تقديمهم على جميع الخلفاء الراشدين، و قد فشل العبيديون في هذه الطريقة أيضا، و قد استطاع عبيد الله "المهدي" أن يستميل من بقي من أتباع بني الأغلب من مواليهم، و رجالهم و أتباعهم الذين خافوا سوء العاقبة بعد سقوط دولة بني الأغلب، لكن عبيد الله المهدي عاملهم معاملة أتباعه فاندمجوا في الدولة الجديدة، و قاموا بدور فعال في تأييدها و مساندتها، و على الرغم من استمالة عبيد الله المهدي لكثير من أتباع الأغالبة، فإنه عجز عن استمالة أتباع مذهب مالك الذين وقفوا صفا واحدا يذبون و يدافعون عن المذهب و أتباعه، و كانوا يرون أن عبيد الله المهدي و أتباعه متطرفون و مغالون في التشيع و إظهار أمور تخالف في أحيان كثيرة قواعد الإسلام.[3]

كما واجه عبيد الله "المهدي" خطر انقلاب قادته عليه و كبير دعاته أبو عبد الله الداعي و أخوه أبو العباس، و كان على "الخليفة المهدي " أن يختار بين داعيته و بين مصلحة الدولة فاختار

[1] – ابن عذاري:البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1،ص 159.

[2] – المصدر نفسه، ج1، ص160.

[3] – بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي، ص270.

مصلحة الدولة و تخلى عن دعاته و قبيلة كتامة أنصار دعوته. و تعود أسباب هذا الانقلاب إلى الخلاف حول الأسلوب الذي سيست به كتامة جيش الدولة و قادتها، فالداعي يرى ألا تولى كتامة الأعمال الإدارية لأن ذلك سيفضي إلى حياة الترف و النعم. إضافة إلى ذلك كان سبب الخلاف هو السياسة العسكرية الذي سلكها " المهدي" اتجاه آل مدرار بسجلماسة، فالداعي لم يكن راضيا عن قتلهم و استباحة أموالهم و نسائهم، و السبب التي تجمع عليه معظم الروايات هو رفض الداعي مهدوية عبيد الله "المهدي"، و التي استند فيها إلى معرفة أخيه أبا العباس بحقيقة إمامة المهدي الإستيداعية، هذا الأخير لم يتوانى في تحريض أخيه و دفعه إلى رفض إمامته، هذا الأمر دفع عبيد الله "المهدي" بأمر بتصفية الداعي[1] و أخيه و كبير القادة الكتاميين أبو زاكي تمام بن معارك الأجاني عام 298هـ/910م.[2]

و الجدير بالملاحظة أنه بعد نكبة الداعي و تصفيته جسديا مع من ناصره ضد الإمام" المهدي"، بدأ تهميش دور قبيلة كتامة[3]، إذ أن عبيد الله "المهدي" كان منذ البداية يهدف و يعمل على إشراك عصبيات مغربية أخرى في الجيش و في تسيير أمور الدولة، و هذا لكي لا تنفرد كتامة وحدها بهذه المهمة فتتحكم في أمور "الخلافة"، حيث أن " المهدي" عند قدومه من سجلماسة إلى رقادة و أثناء مروره ببلاد صنهاجة[4] عند الموضع الذي بنيت عليه مدينة أشير[1] سأل عن جبل

---

[1] – للوقوف على أسباب وحيثيات قتل عبيد الله" المهدي" لداعيه عبد الله الشيعي ينظر: ابن عذاري:البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1،ص 164، 165.

[2] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص176؛ بوبة مجاني: المذهب الإسماعيلي و القيادات الدينية و العسكرية الكتامية في المرحلة المغربية،ص، 87، 88.

[3] – بعد قتل الداعي عبد الله الشيعي و أخيه العباس و أبي زاكي، بدأ عبيد الله "المهدي" بارتكاب سلسلة من أصناف التقتيل و التصفية الجسدية للقادة الكتاميين، عن طريقة الدعوة الفردية أو عن طريق نفيهم للأقاليم البعيدة لكي يسهل قتلهم، ينظر: ابن عذاري:البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1،ص 165.

[4] – صنهاجة مشتقة من صنهاج وهو اسم لرجل يدعى صنهاج بن يصوكان بن مسيور ، ونسبه يرتقي إلى يعرب بن قحطان ، وقد أكد هذا الطبري وأنكره غيره ، انظر : مفاخر البربر، المصدر السابق ، ص 144 ؛ ويذكر ابن حزم الأندلسي أن منهم بنو الغليظ رهط أبي عبد الله محمد بن عبد الأعلى الأديب ومنهم بنو دراج ومنهم بأشونة بنو عبد الوهاب من ولد ميمون بن أبي جميل وهو ابن أخت طارق بن زياد .ينظر: ابن حزم الأندلسي : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط 5 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1982 ، ص . ص 501 – 502 .

صنهاجة فأشير له عليه فقال: " لنا في هذا الجبل كنز"، و المراد بالكنز هو قبيلة صنهاجة، و عندما تولى "الخليفة" الثالث المنصور الذي سلك أسلوبا آخر مع كتامة لاستعادة مكانتها في الدولة و تظل قريبة منه، حيث قام ببناء قاعدة حكم جديدة بعد انتصاره على صاحب الحمار و سماها المنصورية و فرض على أربعة عشر ألف بيت كتامي من مدينة سطيف أن ينتقلوا إلى عاصمته الجديدة لتعميرها.

و لما تولى "الخليفة" الرابع المعز لدين الله الخلافة عمل على إعادة الاعتبار لكتامة بعد أن أبعدت عن العمل السياسي و العسكري، بسبب مناصرتها للداعي أثناء خروجه على الإمام "المهدي".[2]

حيث كان المعز يعقد المجالس لكبار وجوه كتامة و يثني عليهم لكي يعودوا إلى لعب دورهم في السياسة و الجيش الذي سوف يفتح بلاد المشرق.[3]

و لما عزم المعز الرحيل إلى مصر[4]، فكر فيمن سيخلفه في بلاد المغرب، ممن يتوفر صدق التشيع كما ذكر ابن خلدون.[5] حيث لم يجد الإمام المعز لدين الله مخرجا سوى التوجه إلى قائد صنهاجة بلكين بن زيري[6]،

---

[1] – مدينة من مدن المغرب الأوسط تم إنشائها بعد قرار من زيري بن مناد الصنهاجي في أيام القائم بأمر الله سنة (324هـ /935م) و تعتبر أول الحواضر الثقافية الزيرية التي أصبحت فيما بعد تابعة للدولة الحمادية ، تتكون مدينة أشير من ثلاث تجمعات بشرية : منزه بنت السلطان، و أشير و بنية، و يقول البكري: « و هي جليلة حصينة يذكر أنه ليس في تلك الأقطار أحصن منها ولا أبعد متناولا ومراما... بنى سورها بلجين يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي سنة سبع وستين وثلاث ماية و خربها يوسف بن حماد بن زيري...»، البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص60؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص89؛ بن الذيب و آخرون: الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، ص – ص ،104– 114.

[2] – بوبة مجاني: المذهب الإسماعيلي و القيادات الدينية و العسكرية الكتامية في المرحلة المغربية،ص: 86، 87. 93.

[3] – المرجع نفسه:ص90.

[4] – كان موقف أهل إفريقية تجاه الدعوة الإسماعيلية و معارضتهم و تمسكهم بالمالكية سببا في أن يتجه العبيديون نحو مصر، ينظر: حورية عبده عبد الحليم سلام: علاقات مصر ببلاد المغرب من الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، مصر، 1974،ص 33.

[5] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص205؛ أبي عبد الله محمد بن عبد الله البلنسي ابن الآبار: الحلة السيراء، تحقيق، حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة ب.ت، ص393؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص228.

[6] – عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 ، ص190.

ليعرض عليه ولاية إفريقية والمغرب، دون كتامة التي وقفت هي الأخرى موقفا جافيا، أشبه ما يمكن بموقف جعفر بن علي بن حمدون.[1]

و بهذا يكون بلكين قد كشف عن سياسة ماهرة في الحوار الذي جمعه مع الإمام المعز لدين الله، مما يدل على نضجه السياسي ووعيه الدبلوماسي، فلعله يتحين الفرصة كما ذكر عبد العزيز فيلالي[2]، حتى يحصل على ما كان ينشده، فقد تصنع الخوف من مسؤولية ولاية إفريقية والمغرب بكل ما فيها من فوضي سياسية واضطرابات اجتماعية وتناقضات مذهبية، بقوله لم تصف لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف تصفو ليوسف بلكين وهو صنهاجي بربري.[3]

/

[1] – بعث المعز إلى شيوخ كتامة رسولا من أمنائه يختبر حقيقة طاعتهم وولائهم للخلافة العبيدية وقال لهم: «يا إخواننا إن ننفذ رجالا من قبلنا إلى بلدان كتامة يقيمون بينهم، ويأخذون صدقاتهم ومراعيهم ويحفظونها علينا في بلادهم فإذا احتجنا إليها أنفذنا خلفها، فاستعنا بها على ما نحن سبيله » فرد شيوخ كتامة بكبرياء قائلين له:«قل لمولانا والله لأفعلنا هذا أبدا، كيف تؤدي كتامة الجزية، يصير عليها في الديوان ضريبة؟ وقد أعزها الله قديما بالإسلام وحديثا معكم بالإيمان، سيوفنا بطاعتكم في المشرق و المغرب»، ينظر: المقريزي،اتعاظ الحنفا، ج1، ص98.

[2] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص190.

[3] – نص الحوار الذي دار بين المعز و بلكين بن زيري: « قال له تأهب لخلافة المغرب فأكبر ذلك، وقال يا مولانا أنت وآباؤك الأئمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صفا لكم المغرب، فكيف يصفو لي وأنا صنهاجي بربري قتلتني يا مولانا بغير سيف ولا رمح، فما زال به المعز حتى أجاب بشريطة أن المعز يولى القضاء والخراج لمن يراه ويختاره ويجعل الحيز لمن يثق به ويجعله قائما بين أيدي هؤلاء فمن استعصى عليهم يأمره هؤلاء به حتى يعمل به ما يجب ويكون الأمر لهم، ويصير كالخادم بين أولئك» ينظر: المقريزي، المواعظ و الاعتبار، ج2، ص– ص36-37.

المحاضرة رقم:05

المذهب المالكي (دخوله وانتشاره ونضاله ضد المذاهب الأخرى)

1– دخول المذهب المالكي لبلاد المغرب و الأندلس:

ينسب المذهب المالكي[1] إلى الإمام مالك بن أنس (93-179هـ/712-795م)[2] مؤسس المدرسة المالكية الحجازية و حجة الحديث، و يتلخص مذهبه في الاعتماد على النصوص — من الكتاب و السنة– و استخدام الرأي لاستنباط الأحكام الشرعية منها، و بعبارة أدق: يمتاز بالتزام القرآن و الحديث و الابتعاد عن التأويل و الاقتصاد في القياس ما أمكن[3]، و قد انتقل مذهبه إلى بلاد المغرب و الأندلس في حياته مؤسسه بواسطة تلاميذه، بل أصبح المذهب الرسمي للدولة الإسلامية في الأندلس في سبعينيات القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي[4]، و هذا بفعل عدة عوامل منها القوة الذاتية التي اكتسبها من خلال اعتماده على النص أو الأثر، و إسهام جند الحجاز ذلك أن معظم جيوش الفتح كانت تتكون من الحجازيين أو الشاميين، و كان هؤلاء يعودون إلى الحجاز و الشام لزيارة ذويهم و تأدية فريضة الحج فساعد ذلك على انتقال مذهب إمام مالك ، و كذلك لتشدد المذهب المالكي الذي يتجلى في مناهضته للتأويل المعتمد على العقل و قد انسجم ذلك مع عقلية و طبيعة أهل المغرب[5]،فالمذهب المالكي كان عملي أكثر منه نظري يتماشى مع فطرة المغاربة في بساطتها ووضوحها ،كذلك طبيعة أهل الحجاز التي تشبه طبيعتهم طبيعة أهل المغرب و تغلب عليها البساطة و البعد عن التعقيد يقول ابن خلدون:" ... و

---

[1] – للاطلاع أكثر على المذهب المالكي: ينظر: يوسف بن أحمد حوالة: الحياة العلمية في لإفريقية،ص–ص: 275- 304؛ الحاج محمد بن بلقاسم بن الحاج محمد همال: النصرة لمذهب إمام دار الهجرة،ط1، دار ابن حزم، بيروت،2010،ص-ص:59-71.

[2] –ابن النديم:الفهرست،ص251 ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج8،ص 48-135

[3] – عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي بإفريقية،ص44، 45.

[4] – القاضي عياض: المدارك،ح1،ص 80.

[5] – علاوة عمارة: المذهب المالكي في الغرب الإسلامي من خلال دراسة جديدة،(ضمن دراسات و بحوث مغربية)،ط1،دار بهاء الدين للنشر و التوزيع، قسنطينة،الجزائر،2008،ص:181؛ إسماعيل سامعي:المرجع السابق،ص24.

أما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب ... فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب و الأندلس، و لم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق، فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة،و لهذا لم يزل المذهب المالكي عندهم، و لم يأخذه تنقيح الحضارة و تهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب"[1]، و هذا ما جعل عقليتهما – أهل الحجاز و أهل المغرب– تغلب عليها نزعة الحديث، كما كان لإقبال أهل المغرب و الأندلس على الأخذ من علوم المدينة و فقه إمام دار الهجرة مالك دور في انتشار المذهب المالكي و قد فسر ذلك ابن خلدون بقوله:" إن الحجاز كانت منتهى بلاد المغرب و أن العراق لم يكن طريقهم فاقتصروا عن الأخذ من علماء المدينة"[2] ،و منها أيضا النزعة الاستقلالية التي تميز بها سكان المغرب التي أخذت تتحقق بداية من النصف الأول من القرن الثاني الهجري، إذ تبنى السكان مذهب مالك ليقارعوا بها المذاهب الأخرى خصوصا الحنفي مذهب الدولة الرسمي، و ليضيفوا على نزعتهم الاستقلالية الشرعية الدينية، مستغلين في ذلك معارضة مالك للعباسيين في بعض القضايا، منها موقفه من ثورة العلويين في المدينة سنة 145هـ/762م بزعامة محمد النفس الزكية(ت 145هـ/762م)[3]، فقد أفتى أنه ليس على مكره يمين أو طلاق، و هذا يعني أنه من بايع العباسيين مكرها يمكنه الخروج عنهم .و دخل مذهب الإمام مالك المغرب و الأندلس في وقت واحد تقريبا– و إن كان يرجح السبق في الدخول إلى الأندلس كما أشرنا سالفا–[4] و كان ذلك بفضل جهود جيل من الفقهاء الأوائل[5]، الذين رجعوا إلى أوطانهم ببلاد المغرب الإسلامي، يحملون كتابه الموطأ، و فقه إمام دار الهجرة، حيث شرعوا في إرساء قواعد المالكية و تأسيس مدارس تابعة لها و من هؤلاء علي بن زياد التونسي (ت 183هـ/799م)، و هو أول من ادخل الموطأ إلى بلاد المغرب، و فسر لهم قول الإمام مالك، و كان أستاذا للإمام سحنون ، كما كتب مسائل الفقه و الفتاوى، و قام بتصنيفها و تبويبها و

---

[1] – ابن خلدون: المقدمة،ص 805.

[2] – المصدر نفسه،ص 449.

[3] – ابن الأثير:الكامل في التاريخ،ج5،ص 147 و ما بعدها، إسماعيل سامعي:المرجع السابق،ص 24.

[4] – إسماعيل سامعي:المرجع السابق،ص 25.

[5] – نجم الدين الهنتاتي: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري – الحادي عشر الميلادي، تبر الزمان، تونس،2004 ،ص 37؛يوسف أحنانة:تطور المذهب الأشعري،ص 40.

إخراجها على موضوعات الأحكام الفقهية، و منه يتضح أن مذهب الإمام مالك قد عرف طريقة إلى بلاد المغرب في وقت مبكر، أي أنه لم يكن وليد عصر الأغالبة و إنما دخل البلاد قبل قيام دولتهم ،كما قدساهم في نشر و توطيد المذهب المالكي بإفريقية و المغرب كل من عبد الرحمن بن أشرس (ت 170هـ/787م) و البهلول بن راشد (ت 183هـ/799م)،و أبو علي شقران بن علي القيرواني (ت186هـ/ 802م)، و أبو عبد الله محمد بن عبد الله عمر بن غانم الرعيني (ت 196هـ/812م)، ثم حدثت النقلة النوعية للمذهب المالكي في بلاد المغرب الإسلامي حيث رحل أسد بن الفرات (ت 213هـ/828م) من افريقية ،و أخذ عن مذهب مالك و كتب فيه عن عبد الرحمن بن القاسم (ت 191هـ/806م) كتابه "الأسدية" ،و صقلاب بن زياد الهمداني(ت191هـ/806م)، و أبو خارجة عنبسة بن خارجة العقاقي (ت 220هـ/824م)، و أبو محمد عبد الله بن أبي حسان اليحصبي(ت 229هـ/843م)[1]، و منهم أيضا الإمام سحنون بن سعيد التنوخي (ت 240هـ/ 854م) الذي رحل إلى المشرق و حظي بشرف ملازمة تلاميذ الإمام مالك بن أنس الكبار من أمثال : عبد الرحمن بن القاسم و عبد الله بن وهب (ت 197هـ/813م) و أشهب بن عبد العزيز (ت 204هـ/819م)[2]،و عاد سحنون بن سعيد إلى إفريقية سنة (ت191هـ/ 806م) بزاد علمي كبير فأظهر علم أهل المدينة ببلاد المغرب، و بذلك أصبح من أشهر الفقهاء ليس في افريقية فحسب بل في بلاد المغرب قاطبة حيث جلس للتدريس يسمع تلاميذه الموطأ بمختلف مروياته،كما اهتم بنشر مروياته و كتبه[3] و إسماع كتابه المدونة الكبرى، [4]و

[1] – مالك بن أنس الأصبحي: المدونة الكبرى،ج1،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1994،ص104؛ القاضي عياض: تراجم أغلبية،ص22؛ يوسف أحنانة:تطور المذهب الأشعري،ص 40؛ إسماعيل سامعي:المرجع السابق،ص25؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة،ص–ص:122– 125؛ محمد همال: النصرة لمذهب إمام دار الهجرة،ص61.

[2] – مالك بن أنس: المدونة الكبرى،ج1،ص–ص:101–109؛ الخشني:طبقات علماء افريقية،ص–ص:129–132؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك،ج4،ص74؛ سعدي أبو حبيب: سحنون مشكاة نور و علم و حق، ط1، دار الفكر،دمشق،1981،ص 25 و ما بعدها ؛ نسيم نوار: المرجع السابق، ص101

[3] – ينظر: جدول أهم المؤلفات في الرد على البدع والفرق المنحرفة خلال القرنين ، الملحق رقم:02،ص364–365.

[4] – أبو العرب:طبقات علماء إفريقية،ص102؛ نسيم نوار: المرجع السابق، ص102.

ظهر المذهب المالكي في عهده ظهورا كبيرا بإفريقية و المغرب[1]، حيث بفضل سحنون غلب المذهب المالكي في افريقية ، في حين السلطة السياسية بالقيروان كانت أحنفية بالكامل في عهد الأغالبة، واكب ذلك اعتناق السلطة السياسية بالمغرب الأوسط بين الإباضية بتيهرت و الزيدية التي كانت متمركزة خاصة في تلمسان و حمزة، و لعل التواجد الضعيف للنخب المالكية بتيهرت الرستمية جعل أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي (ت 402هـ/1012م) يعمل على نشر المذهب المالكي بمدن المسيلة[2] و تنس و تلمسان، و هو الأمر الذي مكن بوضع أسس صلبة للمالكية بالمغرب الأوسط، خاصة فترة بناء قلعة بني حماد التي تمثل زمن الاستقرار النهائي للمذهب المالكي، حيث نما هذا المذهب بالمنطقة بمجهودات علماء من أبرزهم أبي حفص الصابوني[3]، و قد تمكن سحنون من تصحيح مرجعية الفقه المالكي، يقول القاضي عياض:" ...و أما إفريقية و ما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين إلى أن دخل علي بن زياد و ابن الأشرس، و البهلول بن راشد و بعدهم أسد بن الفرات و غيرهم بمذهب مالك، فأخذ به كثير من الناس و لم يزل يفشوا إلى أن جاء سحنون فغلب في أيامه، و فض حلق المخالفين، و استقر المذهب بعده في أصحابه، فشاع في تلك الأقطار إلى وقتنا"[4]، كما استطاع تشكيل نواة للنخبة المالكية الثانية – الجيل الثاني– في القيروان المشكلة أساسا من طلبته و أصحابه ، هذا الأمر الذي مكن من ترسيخ المذهب المالكي الخالص الذي سيسهل عملية انتصاره فيما بعد،منهم محمد بن سحنون (202/256هـ)، و سعيد بن الحداد (219-302هـ/834-914م)، و ابن أبي زيد

---

[1] – أبو العرب: طبقات علماء إفريقية،ص 184.

[2] – هي من مدن المغرب الأوسط يرجع تأسيسها إلى أبو القاسم محمد القائم ولي عهد عبد الله المهدي في أوائل القرن العاشر ميلادي،و بالضبط 315هـ/927م حملت اسم المحمدية في بداية تأسيها ثم عرفت باسم المسيلة، ثم للمزيد ينظر : ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج7، ص 36؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص72.أحمد أبو عبد الرزاق: الأدب في عصر دولة بني حماد ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،1979م،ص66؛ الصالح مرمول"نشأة مدينة المسيلة وتطورها"، مجلة سيرتا ،معهد العلوم الاجتماعية، قسنطينة، العدد04 ، 1980، ص29؛ عيسى بن الذيب و آخرون: الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط،ص،ص 74،75.

[3] – علاوة عمارة: انتشار المذهب المالكي في المغرب الأوسط –دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر و الغرب الإسلامي–، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008،ص 132، 133.

4 – القاضي عياض: ترتيب المدارك،ج4،ص25،26.

القيرواني (ت 386هـ/996م)[1]، و على العموم فقد تمكن أهل السنة و السلف في جيلهم الثاني أن يؤسسوا نسقا عقديا متناغما مع روح مبادئهم السنية، و فقههم المالكي، و لعل المقدمة التي بدا بها ابن أبي زيد القيرواني " رسالته" الشهيرة أوضح نقل يمكن أن يسلط على طبيعة التصور العقدي الذي اعتقده أهل التسليم و التفويض في الغرب الإسلامي، و دافعوا عنه في مجادلاتهم مع خصومهم.[2]

و قد اعتبر تولي سحنون القضاء بتكليف من السلطة الأغلبية عام (234هـ/ 849م)، بمثابة حد فاصل في تاريخ المذهب المالكي بإفريقية، لاستغلال سحنون هذا المنصب في نشر المذهب و ضرب الجماعات المناوئة " لأهل السنة و الجماعة"[3]، و هذا ما يؤكده الونشريسي إذ يعلل انتشار مذهب مالك في المغرب و تمسك أهل هذه البلاد به، بتولي سحنون القضاء، حيث يذكر أنه قام بتفريق حلقات جميع المخالفين و منع الفتوى بغير مذهب مالك، و اقتدى به القضاة و أهل الفتوى في معظم أنحاء المغرب، فصاروا يمنعون الإفتاء بغير المذهب المالكي و يؤدبون على ذلك.[4]

و في عهد الدويلات المستقلة عن الخلافة بدا المذهب المالكي أقل حضورا و فاعلية، و مع ذلك فإن فقهاء المالكية لم يتوقفوا في التمكين لمذهبهم من خلال الاستفادة من التسامح المذهبي الذي عرف به بنو رستم الإباضيون حكام تيهرت، و ما أبداه بنو مدرار الصفريون حكام سجلماسة من تحول تدريجي نحو اعتناق الاتجاه السني، و هذا ما سمح بوضع قواعد و أسس صلبة للمالكية بالمغرب الأوسط[5]، في حين أن المذهب المالكي سجل حضورا مبكرا بالمغرب الأقصى الذي انتقل

---

[1] – الدباغ: معالم الإيمان،ج2،ص98؛ يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري،ص 41؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة،ص–ص: 132–135؛ علاوة عمارة: المذهب المالكي في الغرب الإسلامي،ص183.

[2] – يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري،ص41، 42.

[3] – علاوة عمارة: المذهب المالكي في الغرب الإسلامي،ص181.

[4] – أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي: المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية و الأندلس و المغرب، إشراف محمد حجي، ج2،نشر وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية للمملكة المغربية (الرباط) و دار الغرب الإسلامي (بيروت)، 1981، ص169؛ ج12،ص26.

[5] – لخضر بولطيف: الفقيه و السياسة في الغرب الإسلامي، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر،2005،ص31.

إليه من الأندلس أيام الأدارسة[1]العلويين الذين ليس ثمة ما يدل على أنهم تعاملوا مع التشيع أكثر من كونه شعار سياسيا. في حين أبدوا منذ قيام دولتهم رغبة واضحة في الاختصاص بالمذهب المالكي، فالاعتدال من الناحية المذهبية الذي عرف به الأدارسة مكن من نشر المذهب المالكي بالمغرب الأقصى، ضف إلى ذلك دور الأمويين بالأندلس في توسيع المذهب المالكي بشمال المغرب الأقصى ، و حدث هذا بفعل التقارب بينهم و بين الأدارسة الموجه ضد العباسيين.[2]

كما تعزز و امتد بفضل النخبة العلمية التي قدمت من المشرق على عهد أبي القاسم بن واسول الخارجي الصفري و على رأسهم أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الحراوي الفاسي (ت 357هـ/967م) و هو الذي أدخل مدونة سحنون بمدينة فاس و بهما انتشر مذهب مالك هناك، بعدما كان أهله على مذهب أبي حنيفة[3].

كما يبرز لنا ابن حوقل عن وجود جماعة من المالكية في المناطق الجنوبية لبلاد المغرب الأقصى فيقول:"... و أهل السوس فرقتان مختلفتان، مالكيون أهل سنة، و موسويون شيعة...."[4]، كما انتشر المذهب المالكي بالمغرب الأقصى نتيجة جهود الإمام أبا العلاء إدريس بن عبد الله الأكبر، الذي أمر في جميع عمالته بضرورة إتباع مذهب مالك و قراءة كتابه الموطأ، بعد أن حارب مختلف المذاهب التي كان البرابرة قد اعتنقوها.[5]

ولكن الأمر لم يستمر بهذه البساطة و التسامح فقد تعرض المذهب المالكي و رجالاته إلى ابتلاءات و محن، نتيجة تغيير الحكام و الدول، و صارع لقرون عديدة مذاهب الخوارج، و الشيعة ، و المبتدعة، و خرج منها أقوى من أي وقت مضى.

---

[1] – أحمد محمود صبحي:في علم الكلام– دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين– الزيدية ،ج3، ط3،دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،1991،ص93.

[2] – الهنتاتي: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، ص : 128- 130.

[3] – إسماعيل سامعي: المرجع السابق،ص 28.

[4] – ابن حوقل: صورة الأرض ،ص90.

[5] – ميمون باريش: نشأة المذاهب الفقهية في الأندلس و المغرب الكبير،ص73.

إذ حاول بنو عبيد محو المذهب المالكي بنشر دعوتهم[1]، و إحلال المذهب الكوفي، و نال فقهاء المالكية من ذلك فتنا لا تعد و لا تحصى، و رغم الهزيمة العسكرية للثورة الإباضية في مواجهة أبي عبد الله الشيعي إلا أنها ساهمت في تحول الكثير من التجمعات القبلية نحو المذهب المالكي،حيث أصبحت بلاد المغرب بنهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي في معظمها مالكية[2]، حيث جاء الفرج بحدوث القطيعة- سياسية و مذهبية- الزيرية[3] مع العبيديين فيما بعد على عهد المعز بن باديس الصنهاجي (ت 454هـ/1062م)[4]، و هذا ما يؤكده الشيخ محمد بن مخلوف عن السلطان المعز إذ يقول:" و كانت بإفريقية مذاهب الصفرية و الإباضية و النكارية و المعتزلة، و كانت بها مذاهب أهل السنة مذهب أبي حنيفة النعمان، و مذهب مالك ، فظهر له حمل الناس على التمسك بمذهب مالك، و قطع ما عداه لمادة الخلاف بالمذاهب...".[5]

و أما عن دخول المذهب إلى الأندلس فقد بدأ في الانتشار في وقت مبكر في عصر الدولة الأموية بالأندلس على عهد عبد الرحمن الداخل (138-172هـ/754-789م) الذي يقول عنه المقري:"...أنه قطع دعوة آل العباس من منابر الأندلس و سد المذاهب منهم دونها..."[6]، و يفهم يفهم من قوله أن الأمويين بالأندلس كانوا يرغبون في الاستقلال سياسيا و مذهبيا عن الخلافة

---

[1] – لم ينج أحد من أذى الإسماعيلية من أهل المذاهب الأخرى، و اعترى المذهب المالكي نوع من الركود نحو نصف قرن حتى كانت مناهضة الرافضية عندما اعتلى المعز بن باديس عرش المملكة 407هـ وكان يميل إلى أهل السنة، فهجم الناس على أهل الشيعة الروافض فقتلوهم و انتهبوا أموالهم و خربوا ديارهم، و ذلك كرد فعل لما قاسوه منهم.ينظر:محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص 193.

[2] – علاوة عمارة: انتشار المذهب المالكي في المغرب الأوسط، ص133-135.

[3] – عن هذا التحول المذهبي و السياسي ينظر: عبد القادر بوعقادة: التحول المذهبي في العهد الصنهاجي- الحمادي الزيري- و أثره على بلاد المغرب الأوسط، مجلة أفاق الثقافة و التراث، مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث، السنة التاسعة، العدد الرابع و السبعون، الإمارات العربية المتحدة، 2011،ص:06-16.

[4] – ابن الخطيب: أعمال الأعلام،ج3،ص 78.

[5] –محمد بن محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية- التتمة-،المطبعة السلفية و مكتبتها،القاهرة،1350هـ،ص129.

[6] – المقري: نفح الطيب،ج1،ص327.

العباسية بالمشرق، و عن عدم انتمائها للدولة العبيدية بالمغرب[1]؛ أي بداية الابتعاد عما تتبناه الخلافة العباسية من المذاهب و العقائد خصوصا المذهب الحنفي، و الشيعي إلى تبني مذهب قوي يقارع المذهب الحنفي مذهب الخلافة الرسمي، و إن كان معتنقوه بالأندلس ظلوا قليلين، و ظهر المذهب المالكي بعد هذا ظهورا كبيرا لا سيما على عهد هشام الرضا(172-180هـ/ 789-822م)، الذي مدحه الأمام مالك بقوله:" وددت أن الله زين موسمنا به"[2]، لكن السلاوي يقول أن هذا المدح كان لعبد الرحمن الداخل و ليس لهشام الذي قال:" لا أحب أن يكون في عملي مذهبان(يعني المالكي و الحنفي)، و عالم دار الهجرة يكفينا"[3]، و الذي يهمنا من قوله، تركيزه على نفاذ رأي الخليفة، و اختياره في تحول الأندلسيين من المذهب الحنفي إلى مذهب الإمام مالك.

و لقد ساهم عدد كبير من العلماء في نشر المذهب المالكي و التمكين له ، و هؤلاء رحلوا للمشرق درسوا على يد الإمام مالك نفسه،أو على أحد تلامذته منهم : الغازي ابن قيس الأندلسي (ت 199هـ/814م) الذي دخل بالموطأ إلى الأندلس،إلا أن زياد بن عبد الرحمن الملقب بشبطون (ت 199هـ/814م) كان أول من أدخل مذهب مالك إلى الأندلس أما الذين نشروه و مكنوا له نذكر منهم: أبو عبد الله محمد بن سعيد بن شراحيل (ت 197هـ/812م) و قرعوس بن العباس (ت 220هـ/835م)،و أبو محمد عيسى بن دينار القرطبي (ت 212هـ/827م) و يحي بن يحي الليثي(ت 234هـ/849م)، و عبد الملك بن حبيب (ت 238هـ/852م)صاحب كتاب الواضحة.[4]

---

[1] – إبراهيم القادري بوتشيش: نشأة المدرسة المالكية بالمغرب و الأندلس و علاقة القاضي عبد الوهاب البغدادي، الملتقى الأول، القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي، المؤتمر العلمي لدار البحوث، دبي،2004، ص286.

[2] – إسماعيل سامعي: المرجع السابق،ص26.

[3] – أحمد بن خالد الناصري السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري و محمد الناصري، ج1، دار الكتاب، الدار البيضاء،1955،ص61.

[4] – محمد همال: النصرة لمذهب إمام دار الهجرة،ص61؛ ميمون باريش: نشأة المذاهب الفقهية في الأندلس و المغرب الكبير،ص 74؛ إسماعيل سامعي: المرجع السابق،ص27.

و منذ نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي أخذ المذهب المالكي يسود المغرب و الأندلس حتى أصبحت له السيادة الكاملة خلال القرنين الرابع و الخامس الهجريين لا سيما على عهد الزيريين و المرابطين[1]. وهذا ما يؤكده ألفرد بقوله:"...أن الشمال الإفريقي عاد في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر ميلادي) إلى مذهب مالك...".[2]

2- نضال المذهب المالكي ضد المذاهب الأخرى:

إلتزم الناس منذ زمان الإمام سحنون المذهب المالكي، وتشبثت به الجماهير الشعبية، وقام يحفظه من بعده تلاميذه ومن أخذوا عنهم، وتفانوا في التمسك به والدفاع عنه رغم الصعاب التي اعترضتهم، والويلات التي حلت بالكثير منهم. وقد كان المذهب المالكي حصنا منيعا، وفى أهل المغرب شر الضلالات وعز أكسبهم قومية نافحوا دونها، وقاوموا الدخلاء من ذوي السلطان وذاتية كونت الشعب المغربي الإسلامي.

ومن بين الذين دخل معهم المذهب المالكي أثناء نضاله نذكر:

2-1- نضالهم ضد أصحاب البدع:

كافح المالكية أصحاب البدع والضلالات و بدأو بأنفسهم وذلك بمجاهدتها وتزكيتها وصونها من كل ما تنزه عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فتزهدوا وتحنثوا وربوا أنفسهم بمراقبتها ومنه ذلك ما حكاه البهلول بن راشد " في أنه ربط اسم حاجة في خنصره من أجل تذكرها فخاف فاستشار ابن فروخ فأكد له بأن ابن عمر كان يفعله فحمد الله أنه لم يبتدع بدعة".[3]

- ومنها بلغ بهم الحذر إلى ألا يأخذوا عن عالم علما ولا يسمعوا عنه حديثا لمجرد شبهة ومثال ذلك ما ذكره أبو العرب عن عدم الأخذ عن يحي بن سلام الذي أتهم بالإرجاء رغم أنه قد تبرأ منه.

---

[1] – إسماعيل سامعي: المرجع السابق،ص28.

[2] – ألفرد بل: المرجع السابق،ص 114.

[3] – أبو العرب: طبقات علماء افريقية،ص128

- كما كانوا لا يسلمون على أهل البدع والأهواء ولا يخالطونهم ولا يجالسونهم قال الإمام سحنون " ما اقتديت في ترك السلام على أهل الأهواء إلا البهلول".[1]

- كما لا يمشون في جنازة من عرف بمخالفتهم للسنة، ويجتنبون الصلاة خلفه أو الصلاة عليه (ترك سحنون: الصلاة خلف القاضي سليمان بن عمران في جنازة).[2]

- على أن العلماء لم ينهجوا نهجا وحدا في عملهم الإصلاحي ولم يستعملوا نفس الأسلوب في صراعهم ضد المضلين، فمنهم من تصدى للرد عليهم بالرأي والحجة، ومنهم من كان عنيفا، فسبهم ولعنهم أو شردهم، وإن منهم أيضا من قاتلهم وأحل دمائهم.

2-2- نضالهم ضد أتباع المذهب الحنفي:

وقف المالكية موقف المعارضة والعداء من ظهور المذهب الحنفي في بلاد المغرب وهذا بسبب نهج ممثليه البارزون نهجا مخالفا لشعور أهل البلاد بتحالفهم مع أعدائهم أرباب السلطان، مناوئين للسنة بإظهار بدعهم، وتحررهم من بعض القيود الدينية والقيم السنية، بهذا يمكن القول بأن معاداة المالكية لم تكن موجهة ضد المذهب الحنفي، وإنما هي تستهدف العراقيين كحالية دخيلة مناوئة لهم مناصرة لأعدائهم ودليل ذلك أن انتشار المذهب الحنفي كان إلى جانب المذهب المالكي، والتفاهم الموجود بين أصحابهما التعايش الأخوي الذي ضمهم صفا واحدا تسوده روح الوئام والتعاون، ذلك على عهد المعز لدين الله بن باديس، العهد الذي زال فيه أثر كل بدعة، وصاحب كل مذهب.[3]

- ومن أسباب الصراع بين المالكية والأحناف نجد ثلاث (على عهد الإمام سحنون)

[1] – المصدر نفسه،ص112؛ عياض: تراجم اغلبية،ص28

[2] – أبو العرب: طبقات علماء افريقية،ص167؛ عياض: تراجم أغلبية،ص36.

[3] – عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي،ص72.

1) القول بخلق القرآن وأخذ الناس عليه، وهو ناشئ عن انتحال الأمراء وقضاتهم الأحناف لمذهب الاعتزال.

2) تحليل النبيذ من طرف الأحناف وهو المحرم تحريما قطعيا لا شبهة فيه لدى المالكية وقد نال فقهاء المالكية التعذيب والتشريد والقتل لرفضهم القول بذلك.

3) العمل بالربا أو غض النظر عن التعامل به من قبل أولي الأمر وكان هذا التأثير السيء في الحياة الاقتصادية والاجتماعية.[1]

- ومن مظاهر نضال سحنون ضد القاضي أبي الجواد الحنفي لزيادة الله الأول الأغلبي وكان ألذ أعداء الإمام سحنون (ابتلاء في عدم حضور هذا الأخير لجنازة صلى بها أبي الجواد، امتحان الإمام سحنون بخلق القرآن اقتداء بالمأمون العباسي)[2]

لكن خرج المذهب و الإمام سحنون منتصرين من خلال توليته خطة القضاء بعد أبي الجواد فأرجع سحنون للقضاء هيبته ورفع المظالم وانتصر سحنون على الجميع لصالح المذهب المالكي.

- بعد وفاة الإمام سحنون بلغ الصراع بين المالكية والأحناف (قص مداه وقد قام للأسباب التي تقدم ذكرها، وقد كان الصراع بين أصحاب المذهبين جدليا علميا ولكن الناس حولوه إلى صراع دموي فيما بعد).[3]

1- نضالهم ضد المذهب الشيعي:

ترجع أسباب الخلاف بين المالكية وأتباع المذهب الشيعي الاسماعيلي إلى جملة من الأسباب في معظمها متعلق بمظاهر انحراف الشيعة والتي أدت إلى قيام المغاربة عليهم، فضلا عن الانحرافات

[1] – عبد العزيز المجدوب: المرجع السابق،ص75.
[2] – ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق،ج1،ص 109.
[3] – المالكي: رياض النفوس،ج1،ص278؛ عياض:تراجم أغلبية،ص117.

التي تتعلق بالعبادات والنبوة، وبالنظر للسلف الصالح و مثال ذلك انه لما وصل عبد الله الشيعي إلى سجلماسة سنة 297هـ/ 916م بسب أصحاب النبي وزوجاتهم.[1]

- محاولة نشر المذهب الاسماعيلي بالقوة والعنف وكل من يأبى ذلك يحبس ويقيل ومثال ذلك أنه قتل جماعة من العلماء رفضوا أن يعترفوا بأنه رسول الله. (ابن هذيل وابن البردون) فقهاء القيروان.
- ادعاء الألوهية والربوبية علانية من طرف أحفاده كالمعز لدين الله.[2]
- منع الفتوى بمذهب مالك وقصروها على المذهب آل البيت وأعتبروا الافتاء بمذهب مالك جريمة يعاقب عليها بالسجن والضرب والقتل أحيانا

مثال: الفقيه أبو عبد الله بن العباس المعروف بالهذلي (ليربه في أسواق القيروان)

- اشتد الصراع بين المالكية والشيعة، وكان لعلماء وفقهاء المذهب المالكي دورا بارزا فيها منها:

– تمثلت في جملة من الحروب والنزاعات طويلة منذ نشأة الدولة العبيدية وحتى سقوطها. (ثورة أبي يزيد الخارجي حيث تحالف أهل السنة مع الاباضية ضد الشيعة).

– الافتاء في مقاطعة بني عبيد ومحاربتهم (أبو عبد الله محمد بن بسطام).

– تكفير بني عبيد و الافتاء بوجوب قتالهم (أبو اسحاق السبائي وأبو العرب بن تميم).

[1] – ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج1،ص189؛ عياض: تراجم أغلبية،ص275؛عبد العزيز المجدوب: المرجع السابق،ص189.

[2] – عياض: تراجم أغلبية،ص392.

– المجالسات والمناظرات لدحض أفكار الشيعة (ابن البردون/ أبو بكر العمودي أبو عثمان سعيد بن محمد بن الحداد)، و كذلك انتقال الشيعة إلى المشرق (مصر) سنة 361هـ/ 972م حسم الصراع وجدد المذهب المالكي للمغاربة سنة 441هـ/ 1048م القطيعة مع بني عبيد.[1]

المحاضرة رقم:06

المذهب الظـــاهري ببلاد المغرب

نشأة المذهب الظاهري وتطوره:

ينسب المذهب الظاهري[2] إلى مؤسسه أبي سليمان داود بن علي بن خلف الأصفهاني الملقب بالظاهري (201-270هـ/816-884م)[3]، هو أول من نادى به و دعا إليه، و يقوم مذهبه على منافاة كل اجتهاد و مجانبة أي تأويل ،أي كانت له طريقة خاصة تتلخص في الأخذ بظاهر النصوص معتمدا على الكتاب و السنة و رافضا الرأي و القياس و التأويل[4]، و يلخص ابن خلدون مذهبهم فيقول:" جعلوا مدارك الشرع كلها منحصرة في النصوص و الإجماع، و ردوا القياس الجلي، و العلة المنصوصة إلى النص،لأن النص على العلة نص على الحكم في جميع محالها"[5]، و هذا ما جلب له نقمة الكثير من الفقهاء،حتى قال بعض العلماء:" إن مذهبه بدعة

[1] – ابن عذارى: المصدر السابق،ج1،ص137؛المالكي: المصدر السابق،ج1،ص419، 420؛ عياض:تراجم أغلبية،ص245؛ المجدوب:المرجع السابق،ص–ص206– 223.

[2] – للإطلاع أكثر على نشأة و تطور المذهب الظاهري حتى عصر الموحدين ينظر: محمد المنوني: حضارة الموحدين، ص37و ما بعدها؛ عباس عبد الله الجراري: المغرب و تيار المذاهب الإسلامية، مجلة الإيمان، جمعية شباب النهضة الإسلامية، العدد06، الرباط، 1966،ص:9-15.

[3] – ابن النديم: الفهرست،ص271؛القاضي عياض: ترتيب المدارك،ج1،ص 54؛ أحمد بكير محمود: المدرسة الظاهرية بالمشرق و المغرب،ط1، دار قتيبة للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت، 1990، ص5

[4] – عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي بإفريقية، ص103.

[5] – ابن خلدون: المقدمة،ص799.

ظهرت بعد المائتين"[1]، و يبدوا أن سطحية هذا المذهب جعلت فقهاء إفريقية يستصغرون شأن داود و يسخرون منه، و يعتبرونه عقيم المدارك و محدود المعارف.[2]

و لقد ظهر أولا بالمشرق ثم انتقل إلى المغرب و الأندلس، أما عن دخول المذهب الظاهري للمغرب فإن المصادر التي بين أيدينا أفادتنا بمعلومات عن دخوله، فقد وجد هذا المذهب مجالا للظهور بإفريقية على أيدي أفراد قلائل لم يكن لهم شأن في نظر الناس. منهم أبو القاسم بن مسرور المعروف بابن المشاط الذي مال إلى مذاهب كثيرة بل إلى كافة المذاهب تقريبا[3]، وأبو جعفر بن خيرون الذي سعى به المروزي لدى عبيد الله، فقتله ،يقول الخشني عنه:"كان مالكيا ،أدخل بعض كتب أبي داود القيروان"[4]، و منهم أيضا عبد الله بن محمد قاسم هلال (ت 272هـ/885م) الذي رحل إلى المشرق و التقى بداود بن علي و أدخل كتبه كلها إلى الأندلس، و من المتوقع أنه كان له دور في نشره بالمغرب أو على الأقل ترك أثرا للمغاربة المالكيين الحديث عن المذهب الظاهري و أصوله،و ذلك أثناء رحلته من المشرق إلى الأندلس و التي حتما كانت تمر على المغرب،و كان ذلك في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن ، و في عهد عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م) صار لهذا المذهب أتباعه بفضل جهود منذر بن سعيد البلوطي(ت 355هـ/965م) قاضي القضاة الذي كان يؤثره و يجمع كتبه و يحتج له و يأخذ نفسه و ذويه به، و يبدوا أن جهوده كانت مقدمة لازدهار المذهب[5] فيما بعد على يد محمد بن سليمان الظاهري،

---

[1] – الونشريسي: المعيار المعرب، ج2،ص491.

[2] – عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي بإفريقية،ص 104.

[3] – القاضي عياض:تراجم أغلبية،ص415، 416؛ عبد العزيز المجدوب:الصراع المذهبي بإفريقية،ص103.

[4] – الخشني: طبقات علماء افريقية،ص 175؛ عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي بإفريقية،ص104.

[5] – إسماعيل سامعي: المرجع السابق،ص30؛ عبد الباقي السيد عبد الهادي: المذهب الظاهري نشأته و تطوره بالمغرب و الأندلس حتى نهاية الموحدين،حولية سيمنار التاريخ الإسلامي و الوسيط،الجمعية المصرية للدراسات التاريخية،العدد الثاني، مصر،1433هـ/2012م،ص191، 192.

و الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (ت 466هـ/1063م)[1] الذي كان أبرزهم و الذي وجه نقدا للمذهب الأشعري.[2]

وقد اتجه في البداية إلى المذهب المالكي فقد كان هو المذهب السائد في الأندلس فوق انه المذهب الرسمي للدولة، ولقد روى إن ابن حزم قال: إن مذهبين انتشرا بقوة السلطان، مذهب أبي حنيفة بالمشرق ومذهب مالك بالمغرب، فكان من مقتضى المنطق أن يتجه ابن حزم إلى المذهب المالكي، بل كان المنطق أن يوجه إليه، ولقد قرأ الموطأ على عبد الله بن دحون، وقد تتابعت قراءته الفقه عليه وعلى غيره من العلماء ولكن يظهر إن ابن حزم القارئ الباحث قد اطلع على نقد محمد بن إدريس الشافعي لمذهب الإمام مالك وان كان شيخه، فقد روى عنه انه قال مقالة أرسطو في أفلاطون: أحب مالكا ولكن محبتي للحق أكثر من محبتي لمالك، لا بد انه قرأ كتاب اختلاف مالك، الذي جاء فيه أن مالكا جعل الفرع أصلا والأصل فرعا، ولا بد انه علم إن الشافعي تردد في نقد مالك حتى علم أن بعض أهل الأندلس يستسقون بقلنسوة مالك، فاستخار الله وكتب نقده ليبين للناس أن مالكا بشر من البشر.

لا بد انه قرأ فيما قرأ ذلك،[3] حتى انتقل من المذهب المالكي إلى المذهب الشافعي[4] فان ذلك يرضي نزعته الفكرية، ورغبته الشديدة في الانتقال الفكري والتحرر من القيود إلا ما كان من صاحب الشريعة صلى الله علية وسلم.

لا بد من أن تفرض أنه اطلع على مأثورات الشافعي ترضي نزعته الفكرية فانه ليس بين أيدينا ما يبين لنا السبب الذي من أجله انتقل من المذهب المالكي إلى المذهب الشافعي، وإذا لم يكن

---

[1] – محمد أبو زهرة: ابن حزم حياته وعصره– آرائه وفقهه، دار الفكر العربي، 1978، ص 35 و ما قبلها.

[2] – للإطلاع على محتوى النقد ينظر: حسن أحمد الخطاف:نقد ابن حزم الأندلسي للمذهب الأشعري، مجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية، مجلس النشر العلمي جامعة الكويت، السنة السادسة و العشرون، العدد الخامس و الثمانون، الكويت،2011م،ص:333-365.

3 – الإمام أبو زهرة: ابن حزم حياته وعصره– آرائه وفقهه، دار الفكر العربي، 1978، ص 35.

4 – الذهبي: سير أعلام النبلاء، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط10، 1994، ص 186.

السبب معروفا بلا بد أن نفرض فرضا يكون قريبا من الواقع ونجد أن روح النقد والتحرر الفكري الذي ظهر في ابن حزم يتلاقى مع مأثور من كتابات الشافعي.[1]

ولقد كان ذلك لأنه كان بين أساتذته الذين تلقى الفقه عليهم مسعود ابن سليمان بن مفلت وهو عالم زاهد يميل إلى القول بالظاهر والاختيار من بين الأقوال المختلفة.[2]

والمذهب الظاهري هو الذي يأخذ الظاهر من النص ينكر التقليد ويفرض الاجتهاد على الأمير كما يفرضه على الفقير، ويمكن لكل امرئ إن يكون فقيها ويخول له الحق في استنباط الأحكام الشرعية من النصوص الثابتة دون الرجوع إلى أحد ممن تقدمه أو عاصره على أن يتقيد بظاهر يظاهر معناه فلا يضيف من عنده شيئا ولا يحذف من مؤداها البسيط شيئا والنص الثابت الذي لا يرقى إليه ظل من نسك وهو القرآن الكريم، وكل ما فيه عن نبي من الأنبياء أو مسخ أو عذاب أو نعيم أو غير ذلك فهو حتى على ظاهره لا رمز في شيء منه.[3]

فالظاهريون ينكرون القياس ويرونه باطلا في استنباط الأحكام كما يأخذون بحجج العقول ويثبتون ولهم أكثر من اعتراض على نكرة الإجماع على مبدئه ولذلك وضع ابن حزم كتابا يسميه بعضهم منتهى الإجماع والبعض الأخر" مراتب الإجماع" ورد فيه قوله وجدنا الإجماع، يقتسم طرفي الأقوال في الأغلب والأكثر من المساءل وبين هذين الطرفين وسائط فيها كثرة التنازع وفي بحرها سبح المخالفون.[4]

هكذا فقد اختلفت الأسباب والعوامل التي جعلت ابن حزم يترك المذهب الشافعي وينتقل إلى المذهب الظاهري حيث تعلق بعضها بمزاجه الشخصي والثاني بالبيئة التي نشأ فيها.[5]

---

1 –الإمام أبو زهرة: نفسه، ص 36.

2 – الحافظ شهاب الدين: لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو سنة، بيروت، دار الكبت العلمية،ط1 ،1996، ج4، ص 239.

3 – عبد اللطيف شرارة: ابن حزم رائد الفكر العلمي، بيروت، د ت ، ص 60.

4 – حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي العصرالعباسي 2، في الشرق ومصر والمغرب والأندلس، القاهرة، دار النهضة العربية، ط10، 1991، ج4، ص 442.

5 – أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي: صفات علماء الحديث، تحقيق: أكرم البوشي وإبراهيم الزئيق، بيروت، مؤسسة الرسالة، د ت، ج2، ص 91.

– فانك ترى في مأثورات الشافعي مع كتاب اختلاف مالك اختلاف العراقيين والرد على سير الاوزاعي وجماع العلم وكلها كتب نقد وجدل وان هذا يتفق كل الاتفاق مع روح ابن حزم ونزوعه الفكري، ثم انتقل إلى المذهب الشافعي ومن طريقه أطل على مذهب العراقيين، ثم درس الفقه المأثور وغيره ولكن روحه التي لا ترضى بأن تبقى في إطار مذهبي لا تعدوه ولم ترض إن تبقى ساكنة تحت سلطان المذهب الشافعي، ولعل الذي أعجبه في المذهب الشافعي شدة تمسكه بالنصوص واعتباره الفقه نصا أو حملا على النص، وشدة حملته على مالك عندما كان يفتي بالاستحسان، والمصالح المرسلة وكتابته كتابا خاصا في إبطال الاستحسان. والاستحسان في عرف الشافعي يشمل الاستحسان الاصطلاحي، والمصالح المرسلة على ما ينافي موضعه، وقد أخذ بعد ذلك يحلق في النصوص.[1]

– ولكنه لم يلبث إلا قليلا في المذهب الشافعي كما ذكرنا ثم رأى فيه ما رأى رواد الاصبهاني[2] شيخ المذهب الظاهري، وتلميذ الشافعي يدعوا إلى التمسك بالنصوص وحدها، فلا طلب بالنهي أو الأمر إلا عن النص أو الأثر وإلا فالأمر على الإحكام الأصلية بالاستصحاب، وقال كما قال داود أن الأدلة التي ساقها الشافعي لإبطال الاستحسان هي التي تبطل القياس.[3]ثم انفصل ابن حزم عن الظاهرية واشتغل بمذهب خاص عرف به المذهب الحزمي وعرف أتباعه بالحزمية.و قد أغفل المؤرخون جانبا هاما في وضع هذه العقيدة وهو المذهب الحزمي فقد تأثر ابن تومرت إلى حد ما بمذهب العلامة الأندلسي ابن حزم الذي له مذهب كلامي مفصل واضح المعالم محدد المنهج.[4] إذ ناضل المعتزلة[5] والأشعري[1] و الخوارج[2] والشيعة[3] وغيرهم، وانتهى هذا النضال إلى نتائج تميز مذهبه

1 –أبو زهرة: المرجع السابق، ص 35.

2 –داود الظاهري: هو أبو سليمان داود علي بن خلف الاصبهاني، الإمام المشهور المعروف بالظاهري، كان زاهدا كثير الورع، أخذ العلم عن إسحاق بن راهوية، وأبي ثور وغيرهم، ولد سنة 202هـ، توفي سنة 270هـ، حيث قضى معظم معظم حياته بالزهد والدرس المتتابع. ـ ابن حزم: حجة الوداع، ص 24.

3 – ابن حزم: حجة الوداع، تعليق: ممدوح حقي، بيروت، دار اليقضة العربية، ط2، 1966، ص 24–25.

4 – حسن ابراهيم حسن: المرجع السابق، ص 444.

5 – المعتزلة: فرقة كلامية، ظهرت سنة 105هـ بزعامة رجل يسمى واصل بن عطاء الغزالي حلته الحسن البصري راغب السرجاني، الموسوعة الميسرة في التاريخ الاسلامي، ص 415.

مذهبه وتعين مدرسته، وتبرز شخصيته وبهذا الجهد المتواصل انفصلت شخصية المذهب الحزمي عن المذهب الظاهري الذي فضله ابن حزم على جميع المذاهب وأعجب به.[4]

ويذكر ابن حزم أن لفظ الصفات قد ابتدعه المعتزلة ورؤساء الرافضة ثم سلك سبيلهم قوم من أصحاب الكلام الذين لم يتبع سبيل السلف الصالح ويبين ابن حزم منهجه الكلامي في هذه العبارة:" إنما الحق في الذين ما جاء عن الله تعالى نصا أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك، أوضع إجماع الأمة كلها عليه ما عدا هذا فضلان".[5]

ومن ذلك نجد أن ابن حزم قد زاد في السنة السلفية في التمسك بنص الكتاب والسنة إذ أن السلفيين رفضوا الدخول في مناقشات في العقيدة واعتبروا أهل الكلام كفارا أو زنادقة.

لكن ابن حزم لم يقف من علماء الكلام موقفا سلبيا كما وقف أهل السنة السلفية، بل نازلهم وناقشهم بالحجة والبرهان.[6]

واستعمل في مناقشاته آيات قرآنية وأحاديث نبوية صحيحة فحمل على المعتزلة وعلى تلاميذهم الأشعرية، وكان لمذهبه أتباع كثيرون من أرجاء العالم الإسلامي، بل أنه ترك ورائه فرقة تحمل اسمه تعرف بالحزمية، وقد انظم إلى هذه المعرفة الحزمية الكثير من الظاهرية. ومال يعقوب المنصور

---

1 – الأشعرية: نسبه إلى أبي الحسين الأشعري(260-363هـ) بالبصري وهي فرقة إسلامية تتفق مع مذهب أهل السنة. خرج عن المعتزلة وتبرأ من أفكارهم ورد عليهم بطريقته. راغب السرجاني، نفسه، ص415.

2 – الخوارج: كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت عليه الأمة سواء كان الخروج في أيام الصحابة أو بعدهم على مدار الزمان وشعارهم لا حكم إلا لله. بدأ ظهورهم سنة 64هـ. راغب السرجاني، نفسه، ص 415.

3 – الشيعة: لغة: بمعنى الأنصار والإتباع، اصطلاحا: هو اسم من فضل عليا على الخلفاء الراشدين قبله رضي الله عنهم جميعا ورأى إن أهل البيت أحق بالخلافة ومن فرقهم الزيدية، الرافضة، الاثناعشرية، الإسماعيلية.ـ راغب السرجاني: الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي،ج2، ص419.

4 – أبو زهرة: المرجع السابق، ص 36.

5 – أحمد مدحت إسلام: علماء العرب والمسلمين وانجازاتهم العلمية في بناء الحضارة الإنسانية، القاهرة، دار الفكر العربي،ط1، 1999، ص114.

6 – الحميدي: جذوة المقتبس، القاهرة، 1966، ج2، ص 368.

الموحدي إلى مذهب ابن حزم.[1] وعليه فما يلاحظ على ابن حزم أنه عرف بتعدد المذاهب حيث عرف أربعة مذاهب وانتهى إلى مذهب خاص به سماه أتباعه بالمذهب الحزمي.

و منه نستطيع القول أن الظاهرية قد انتشرت في فترة بلغ فيها الاجتهاد الفقهي ذروته، و برزت فيها تحديات جديدة ناتجة أساسا عن المستوى الذي بلغه العالم الإسلامي من التحضر و الانحلال الذي صاحبه، فأصبح التحايل على نصوص الشريعة شغل الكثير من الفقهاء، مثل هذه الحالة ساهمت في تنشيط حركة الظاهرية، غير أن الوضع المذهبي ببلاد المغرب قد أخذ شكله النهائي بسيطرة شبه كاملة للمذهب المالكي.[2]

/

المحاضرة رقم:07

المذهب الموحدي في بلاد المغرب

تمهيد:

إن كل الدول أو الدويلات التي قامت خلال العصور الوسطى في الحضارة الإسلامية سواء في مراحل تقدمها وازدهارها أو في مراحل ضعفها وإضمحلالها قد قامت بدعوى مذهبية معينة لتطرحها كبديل على ما هو قائم مع العمل على تقديم الحجج الكفيلة بنقد ودحض النظام القائم من خلال الكشف عن معايب المذهب العقدي والفقهي وتبيان مستويات انحرافه عن الأصل، ومن هنا كل دولة تقوم تدعي أها المعنية بحديث الفرقة الناحية، وأن النظام المراد تغييره قد كفر أوحاد عن الأصليين الكتاب والسنة، والدولة الموحدية لا تستثنى من هذه القاعدة بل تشكل مثالا

1 – حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي العصر العباسي2 في الشرق ومصر والمغرب والأندلس ، القاهرة، دار النهضة المصرية،ط13، 1991، ج4، ص 515.

2 – إسماعيل سامعي: المرجع السابق،ص 31؛ نسيم نوار،المرجع السابق،ص 34.

حيا للدولة التي قامت على أساس مذهبي عقدي حاول التوحيد بين مختلف المذاهب ليستوعب التيارات الدينية ومن قم السياسية السائدة من جهة، وليجعل من دولته اسما على مسمى من جهة أخرى.[1]

و من هذه النظرة يمكن الجزم أن النظام الموحدي نظام متفرد ذلك أن التعدد المذهبي والفكري الذي صاحب خلفاء وأمراء هذه الدولة من محمد بن تومرت إلى زوال الدولة عهد عبد الواحد الرشيد ابن إدريس، أكبر دليل على ذلك عقيدة مؤسس الدولة التي لم تكن على مذهب واحد وبالرجوع إلى صاحب المذهب الموحدي ومؤسسه

1– المنحى الشخصي و العقدي لمحمد بن تومرت:

محمد ابن تومرت (474-524هـ/1080-1130م) (ولد بإيجلي جنوب المغرب الأقصى وهو من قبيلة هرغة من قوم يعرفون بـ إسريغنن وهم الشرفاء بلسان المصامدة، وللشرفاء معنى يتصل بما زعمه ابن تومرت من امتداد نسبة إلى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وهذا ما يؤكده بعض المؤرخين من أمثال عبد الواحد المراكشي وابن القطان.[2]

عرف بعدة ألقاب منها عبد الله وابن تومرت والشيخ وأمغار، لم يكن يبالي بلعب الصغار مما جعله متميزا ومتفردا بين أقرانه، لم يكن يغادر المسجد إلا قليلا ملازما له ليلا لقراءة القرآن على ضوء القنديل حتى لقب بـ أسفو "الضياء"، حفظ ابن تومرت القرآن الكريم وبعض مبادئ النحو وكانت هذه المواد أقصى ما يمكن طلبه في مثل منطقته، لهذا غادر مسقطه متجها شمالا عساه يجد ضالته من العلم والحكمة فقصد مراكش وسبتة ثم جاز البحر إلى الأندلس طالبا للعلم، ووصل إلى قرطبة حوالي سنة 500 م ويعتقد أنه درس بعض أصول المذهب الظاهري لابن حزم الأندلسي (ت 455 هـ) على يد أبي جعفر حمد بن محمد بن حميني ت (548هـ) وهذا يتأثر بهذا المذهب ويأخذ به خاصة في الفقه وبعض المسائل التشريعية ويبدوا ذلك جليا في تركيز ابن تومرت في دعوته وفي استدلالاته الدائمة بالقرآن وبالحديث.

---

[1] – خميسي ساعد:" أثر المذهب الموحدي في الحضارة الإسلامية بالمغرب الإسلامي"،مجلة الحياة، العدد 14،المطبعة العربية، غرداية، الجزائر،2010،ص213.

[2] – عبد الواحد المراكشي:المعجب،ص155؛ ابن القطان: نظم الجمان،ص87.

وهنا نجد أن ابن تومرت لم يجد بالمغرب الإسلامي ما يشبع رغبته– باستثناء المذهب الظاهري– في طلب العلم، لذا انتقل من قرطبة إلى الميرية فدخل منها في موكب المشرق وغاب في رحلته في طلب العلم لمدة 15 عاما.[1]

توجه ابن تومرت إلى المشرق الإسلامي طالبا للعلم حسب المراكشي سنة 501هـ وكانت المواطن التي درس بها متعددة ومتنوعة التخصصات والمذاهب والاتجاهات يدرس بها أساتذة وعلماء لهم بصماتهم في التراث والفقه وعلم الكلام والفلسفة والتصوف ... إلخ.

من هذه المحطات الهام التي تركت أثرها في تكوين شخصية ابن تومرت المصلح، المعلم، السياسي، وأثناء ذهابه تتلمذ في الاسكندرية على يد أبي بكر الطرطوشي (ت 521هـ) الأندلسي الأصل المالكي المذهب تعلم منه أصول الفقه والجدل وأفكار فلسفية وصوفية جسدها زهده في الحياة وتعاليه عن طلب الدنيا ومغرياتها، وكذا استماتته تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي التعبير أو ممارسة ماهو حق مهما كانت عواقبه ولقد عمل الطرطوشي بهذا المنهج نضاله من أجل تثبيت المذهب السني، ولهل من أبرز ما أثر في ابن تومرت، وساعده في ذلك طبعه البدوي الجبلي الغليظ.[2]

وتعد بغداد من أهم المحطات في حياة ابن تومرت التعليمية، وبها قضى قرابة 10 سنوات اكتسب فيها ابن تومرت، كمًّا من المعارف والمعلومات، زائد خبرة حياتية بما اطلع عليه من تعدد الفرق وفي الانتماءات المختلفة، فقهية وعقدية وعلمية ومن ثم سياسية، ومن الذين درس عليهم أبي بكر الشاشي والكيا الهراسي والمبارك بن عبد الجبار وأبا حامد الغزالي.[3]

- فأخذ عن أبي بكر الشاشي وهو أكبر فقهاء الشافعية شيئا من أصول الفقه.
- وعن الكيا الهراسي، العالم الأشعري الفقه والحديث وأصول الجدل.

[1] – ابن القطان: نظم الجمان،ص88؛ ألفرد بل: الفرق الإسلامية ،ص251.

[2] – عبد الواحد المراكشي: المعجب،ص 155، 156.

[3] – عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق،ج6،ص465؛ عبد المجيد النجار:فصول في الفكر،ص67.

- وعن المبارك بن عبد الجبار (وهو ابن القاضي عبد الجبار أحد أعلام المعتزلة) وناظر الأشاعرة والحنابلة وغيرهم من الفرق.
- وعن أبي حامد الغزالي (ت 505هـ) درس وتأثر بهذا العالم من خلال الأخذ من قدراته العلمية والمنهجية .

فمن المحتمل أنه تأثر بالكلام الأشعري وأصول الفقه والتصوف والفلسفة. وحتى أنه تذكر المصادر نص المحادثة التي وقعت بين الغزالي وابن تومرت والتي كان فيها سؤال محوري حول انطباع وسؤال الغزالي عن رواح كتابه الإحياء بالمغرب وجواب ابن تومرت واتهامه للمرابطين المجسمة– حسب زعمه– ودعاء الغزالي في فناء الدولة على يدي المهدي وتأمينه عل دعاء ابن تومرت، يمكن أن نستخلص من هذه الحادثة أن ابن تومرت كانت لديه رغبة في الوصول إلى الحكم من خلال طلبه من الغزالي أن يكون هلاك سلطان المرابطين على يديه.[1]

- وبدراسته على يدي الغزالي تكون شخصية ابن تومرت العلمية قد اتضحت معالمها وبينت نواياها، و ما هي مقدمة عليه ويتضح ذلك من خلال المذهب الذي رام ابن تومرت تأليفه وعاد المغرب لتجسيده، ففي ماذا يتمثل هذا المذهب؟ وما هي العناصر التي تؤلفه؟

2– عودة ابن تومرت إلى المغرب بفكرة التغيير:

بعدما تجسدت ملامح شخصية ابن تومرت من خلال ما أفاده في المشرق واقترابه من جهابذة المذاهب العقدية السائدة خاصة الأشعرية منها ممثلة في شخص أبي حامد الغزالي عاد ابن تومرت إلى بلاد المغرب حاملا فكرة تأسيس دولة توحد شعوب المنطقة، كما توحد مذاهبهم بالعودة حسب رأيه إلى الأصل الموحد للأمة الإسلامية، لم ينتظر ابن تومرت عودته إلى موطنه الأصلي بما باشر ليجهر بدعوته أثناء رحلته متبعا فكرة عقدية وهي "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

[1] – عبد الواحد المراكشي: المعجب،ص155؛ خميسي ساعد:المراجع السابق،ص220.

- وهنا تعرض ابن تومرت لمحن ومواقف صعبة بسبب جرأته وشجاعته في تجسيد هذا المذهب أو ذلك من خلال ما ذكره المراكشي في حادثتين واحدة في الإسكندرية تسببت له في خروجه مطرودا والأخرى في عودته إلى المغرب على ظهر سفينة التي كان مسافرا على متنها إلى بجاية التي وصلها سنة 511م فواصل منهجه في الدعوة فعظم أمره وكثر أتباعه حتى وصل خبره إلى العزيز بن الناصر صاحب بجاية- فهم به ثم تركه فخرج المهدي من بجاية إلى رباط. خرجها وعلى القرب منها يقال له ملالة ومنها توجه إلى تلمسان موطن صاحبه عبد المؤمن بن علي فعظم أمره بها وذيع صيته حتى أن كل من بها كان يعظمه من أمير أو مأمور، فخرج منها قاصدا مدينة فاس فلما وصل إليها أظهر ما كان يظهره من العلم. وأن كل ما كان يدعوا إليه هو علم الاعتقاد على طريق الأشعرية، وكان أهل المغرب ينافرون هذه العلوم، ويكادون من ظهرت عليه. فجمع والي المدينة الفقهاء وأحضره معهم فجرت له مناظرة كان له التفوق فيها والظهور.[1]

- ويرجع المؤرخون سبب تفوق ابن تومرت في مناظرته للفقهاء المرابطين إلى اعتماده على علوم النظر في حوراته وهو ماكان ينعدم لدى محاوريه بحكم أن النظام المرابطي كان يحرم الاشتغال بالفلسفة وبالعلوم العقلية ولم يكن يسمح إلا بعلم الفروع (الفقه).

- أخرج ابن تومرت من فاس ولكن بحسب الكثير من المؤيدين الذين سيجدهم سندا في تحقيق الدولة الموحدية، بعدها توجه إلى مراكش حيث بلاد علي بن يوسف بن تاشفين واصل أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر مع العامة ومع الخاصة بمن فيهم أمير المرابطين وأسرته وهناك أيضا تعمقت الفكرة العدائية تجاه الملثمين الذين يكفرهم في مؤلفاته ويستحل دمائهم فكان سببا في طرده من جديد فكان لجوؤه هذه المرة لوطنه الأصلي.

[1] – عبد الوحد المراكشي: المعجب،ص160؛ ابن القطان: نظم الجمان،ص76، 77.

- حيث فر ابن تومرت سنة 514هـ/ 1120م من مراكش إلى أغمات عبر المسالك الجبلية حتى وصل إلى قبيلته هرغة وغيرها من المصامدة فذاع صيته وواصل حركته الإصلاحية وفق مبدأه الشهير، وهناك بدأت تتشكل ملامح حركته الموحدية، ولكن لم يعلن عنها صراحة ولم ينقل عمله الدعوي التعليمي إلى المسلك الثوري حتى أعلن في الناس أنه المهدي المنتظر وقد مهد لذلك بجملة من الكرامات وخرق العوائد والإكثار من الحديث عن فكرة المهدي وعصمته ورفع نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، حتى استقر عندهم أنه المهدي وبسط يده فبايعوه على ذلك وكان ذلك سنة 515هـ/ 1121م، كما قام بتأليف كتاب أعز ما يطلب التي تضم عقيدته المرشدة كبديل عن موطأ الإمام مالك وبقية الكتب العقائدية في اختلاف مذاهبها.[1]

- إن مذهب ابن تومرت كما سنرى لاحقا الذي هو عبارة عن وحدة بين مذاهب مختلفة، أشعرية ظاهرية، مقندلية، شيعية أرادها مجتمعة لأنه لاحظ تداولها على أنظمة الحكم في المغرب الإسلامي (رستمية/ فاطمية/ ظاهرية/ ملكية...). كما لاحظ تواجدها بالمشرق الإسلامي وتشتت المسلمين بسبب انتمائهم العقدي التي تصل أحيانا إلى التنابز والتناحر.

3- مذهب ابن تومرت (المذهب الموحدي):

إذا أردنا تحديد مذهب ابن تومرت أو منهجه في التصور العقدي بدقة وبوضوح، بل وحتى السبيل الفقهي المتبع من بين السبل السائدة في العالم الإسلامي مشرقا ومغربا فإن ذلك يصعب كثيرا، ولقد احتار وأخطأ حتى المؤرخون القريبون منه زمنيا في تحديد ذلك فهذا عبد الواحد المراكشي يصف مذهب ابن تومرت بقوله " ... وكان على مذهب أبي الحسن الأشعري في أكثر المسائل، إلا في إثبات الصفات، فإنه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها، وكان يبطن شيئا من التشيع غير أنه لم يظهر منه إلى العامة شيئا".[2]

[1] – عبد الواحد المراكشي: المعجب،ص160؛ ابن القطان: نظم الجمان،ص88، 89

[2] – عبد الواحد المراكشي، المصدر نفسه،ص160.

في حين يذهب ابن خلدون إلى رأي آخر يضيق فيه من تصوره لمذهب ابن تومرت فيجعله سنيا أشعريا صرفا، ويكتفي بذكر ما يجعل من ابن تومرت أشعريا وفقط. مثل ضبطه لمفهوم علم الكلام حتى يعيده علما يدافع عن عقيدة السلف باعتماد العقل، ومثل امكانية اعتماد التأويل، ثم يحكم بتعميم بأن الأشاعرة هم الأئمة في العقيدة، يقول ابن خلدون << ... عن ابن تومرت وعن أشعريته: " وكان قد لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة، وأخذ عنهم واستحسن طريقهم في الانتصار للعقائد السلفية، والذب عنها بالحجج العقلية الدامغة في صدور أهل البدعة>>. من خلال النص وغيره يبدوا أن ابن خلدون قد نسي ما تحمله عقيدة ابن تومرت من عناصر غريبة عن الأشعرية، بل أن الأشاعرة أنفسهم ناهضوها وكفروا أصحابها مثل علاقة الذات الإلهي بالصفات وسائل أخرى، ثم أن نصوص ابن تومرت نفسه ونصوص عبد الواحد المراكشي فيها آراء غير أشعرية تفند ما ذهب إليه ابن خلدون.[1] و الواقع أن تعدد الشخصيات والمناهج والمدارس التي درس فيها ابن تومرت: فقهية ظاهرية بالأندلس، مالكية بالاسكندرية، شافعية ومعتزلية ببغداد، وعقدية أشعرية جوينية ثم أشعرية غزالية، فأصولية متفتحة على الفلسفة فصوفية كل هذا يضاف إلى ما ذهب إليه هنري لاووست بأنه كان لابن تومرت لقاءات بأعلام من الحنابلة وبشخصيات فاعلة من الشيعة الإمامية والإسماعيلية. يضاف إليه أيضا ما أفاده من خلال إطلاعه عن كثب على أنظمة سياسية مختلفة حيث كانت له لقاءات مع العديد من الأمراء والولاة، وهو ما أكسبه معرفة واسعة بالواقع السياسي للمسلمين ونفاذا إلى العيوب والإنحرافات التي كان يشتمل عليها ذلك الواقع.[2]كل ذلك كان له الأثر الكبير في بناء مذهب جديد عقديا وفقهيا مُوَحدًا ومُوَحِدًا يلم شتات المذاهب في مذهب واحد وسطه الجامع: الأشعرية بما من نزعة توسطية واضحة تأسست لأجلها. و هذا ما ذهب إلى بعض الدارسين (عمار طالبي) من أن " ابن تومرت جمل معه منهجا جديدا في الفهم، أراد أن يدعوا إليه. وأن يغير أسلوب الحياة العقلية الإسلامية على أساس من الأصول، والتأويل العقلي، على طريقة الأشاعرة تارة وعلى طريقة المعتزلة تارة أخرى، بل أنه استعمل طريقة الإمامية في المجال السياسي والاجتماعية ونادى بطاعة الإمام وعصمته ..."

[1] – عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق،ج6،ص466؛ ابن خلدون: المقدمة،ص517.

[2] – عبد المجيد النجار: فصول في الفكر،ص68.

إذن فابن تومرت بمذهبه الموحد من عناصر متنوعة، موفقة أو ملفقة أراد أن يتوسط المذاهب مع عدم التفريط في بعض مما وجده ممكن الإفادة من الباطنية والظاهرية أو من الإباضية أو من الحنبلية أو من المالكية وحتى الشافعية.[1]

هذا المذهب الذي رأى فيه ابن تومرت وحده الأمة ووسيلته في بلوغ الحكم. لا بد له من رواج وهذا لن يتم إلا من خلال العملية التربوية التعليمية من خلال الأصل العقدي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتي تولاها ابن تومرت بنفسه ووصل على منهجه وطريقة أمراء وخلفاء الدولة الموحدية من بعده.[2]

لقد احترف ابن تومرت صفة العالم وحامي حمى الدين بمذهب موحدي جديد قديم، جديد من حيث أنه مذهب يحل محل المذاهب القائمة في الحضارة الإسلامية، وقديم من حيث أن عناصره مؤلفة من أبرز المذاهب السائدة (أشعرية، معتزلية – شيعية- اباضية- مالكية ...).

المحاضرة رقم:08

العقيدة الأشعرية وانتشارها ببلاد المغرب

تمهيد:

إنه لمن الصعوبة بما كان تحديد التاريخ الذي دخل فيه الفكر الأشعري إلى بلاد المغرب الإسلامي[3]، و على يد من أُدخل؟ و ذلك راجع بالدرجة الأولى إلى قلة الدراسات التي تناولت

---

[1] – عمار طالبي: أعز ما يطلب، مقدمة المحقق،ص05.

4– ساعد خميسي:المرجع السابق،ص232.

2– يؤكد ذلك الباحث المنصوري بقوله:"...يصعب تحليل انتشار أي فكر من الأفكار في بلاد المغرب أو في غيرها إذا لم يُدرس في كليّته وفي علاقته ببقية الأفكار التي شاركته الانتشار في المكان والزمان عبر دراسة أنماط حضور الفكر العربي في الغرب الإسلامي، لأن النظر الجزئي إلى الأفكار والإشكاليات و البنى والمؤسسات التي تنتجها وتطوّرها لا يمكّن إلاّ من خلق تفسيرات جزئيّة وغير مترابطة فاقدة للانتظام والنّسقيّة. فدراسة الأشعرية في إفريقيّة مثلا، رغم أهميّتها، تظل غير كافية لخلق أفكار دقيقة تسهم إسهاما مباشرا ودقيقا في جلو تطوّرات الفكر ومنعرجاته في هذه البيئة. إذ تكاد إفريقيّة تُطلق في أغلب الفترات على القيروان ومحيطها فقط. وهو محيط جزئيّ وصغير في بلاد المغرب. في حين أنّ انتشار الفكر الأشعريّ وتطوّره قد

هذا الموضوع، غير أن هذا لا يمنع من وجود بعض الإشارات المتناثرة هنا و هناك، و التي أخذنا في استقصائها حتى نبني عليها مادة دراستنا هذه و نجعل منها أرضية يمكن الاعتماد عليها في تكوين فكرة حول الموضوع.

و قد اختلفت أراء الباحثين حول أول من أدخل مبادئ الأشعرية إلى هذه الأصقاع، و هل كان ذلك خلال حياة صاحب المذهب الذي أعلن عن تأسيس وجهته في فهم العقيدة أوائل القرن الرابع الهجري أم كان ذلك فيما بعد سنة 324 هـ/935م[1]،ويعود سبب هذا الاختلاف إلى ندرة مؤلفات بعض العلماء الذين ذكر أنهم كانوا متأثرين بالأشعرية، و التي تعتبر المنطق الصحيح لتدقيق الرأي في هذه المسألة.

نسب المقريزي إدخال المذهب الأشعري إلى بلاد المغرب، إلى محمد بن تومرت(ت 524هـ/1129م) [2]، بينما ذكر المراكشي في إطار حديثه عن ابن تومرت ، أن أهل المغرب كانوا" ينافرون هذه العلوم" أي علم "الإعتقاد على طريقة الأشعرية"، و " يعادون من ظهرت عليه".[3] و هذا يعني أن المذهب الأشعري كان موجودا بالمغرب قبل عهد ابن تومرت، إلا أنه كان مهجورا،[4] و هو رأي ربما يتطابق و ما ذكره ابن خلدون عن أهل المغرب قبل ظهور ذلك الإمام، فقد كانوا"

اشتركت فيه كلّ الفرق والمذاهب الإسلامية المتصارعة في بلاد المغرب..."، الأشعريّة في بلاد المغرب إلى نهاية القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي ومفهوم الأدوار الحضارية،ص01.

2- تكاد آراء الباحثين تجمع على أن دخول مبادئ العقيدة الأشعرية إلى الغرب الإسلامي ، كان في أواخر القرن الرابع الهجري، ينظر:عبد الله معصر: العقيدة الأشعرية بالمغرب أصالة و امتداد، مجلة الغنية، العدد01، مركز دراس بن اسماعيل =الرابطة المحمدية، فاس،2011،ص 68؛ و تشير النصوص إلى أن أول من حمل العقيدة الأشعرية إلى بلاد المغرب، هو "أبو ميمونة درّاس بن إسماعيل الفاسي" (ت 357 هـ).ينظر: إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص: 262؛ يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ص52؛ عبد المغيث جيلاني:المدرسة الأشعرية بالمغرب و الأندلس : أعلامها و جهودها،مجلة الفرقان، العدد 63، مطبعة النجاح الجديدة، الدرا البيضاء،2009 ،ص31.

1- المقريزي: ، المواعظ و الاعتبار،ج2، ص 343.

2- أبو محمد بن علي التميمي عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : عمران المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998،ص184.

3- نجم الدين الهنتاتي:تطور موقف علماء المالكية بإفريقية من الخوض في المسائل الكلامية و تبنيهم للعقيدة الأشعرية، مجلةIBLA، السنة 55، العدد 170 ، تونس،1992،ص.299

بمعزل عن أتباعهم (أئمة الأشاعرة) في التأويل و الأخذ برأيهم فيه، اقتداء بالسلف في ترك التأويل و إمرار المتشابهات كما جاءت"[1] و هو رأي لا يصح و يصعب الأخذ به على الأقل بالنسبة لإفريقية، لأن ذلك المذهب دخل إلى إفريقية في فترة مبكرة. و الغالب بعد عهد الأشعري بقليل[2] كما ذكر " هادي روجي إدريس" الذي يجزم بأن وصول الأشعرية إلى بلاد المغرب تزامن مع أواخر حياة "أبو الحسن الأشعري"[3]

في حين ذهب بعض المؤرخين إلى القول بأن دخول هذا المذهب لبلاد المغرب الإسلامي كان بعد العقد الثاني من القرن الخامس الهجري على يد "أبي موسى المرادي" (ت489 هـ/1096م) [4]

و هناك من المؤرخين من ذهبوا إلى أبعد من هذا، فعند حديثهم عن الأشعرية بالمغرب لا يذكرونها إلا بداية من القرن السادس أي بعد مضي قرنين كاملين من ظهور الأشعري بالمشرق، و من هؤلاء المؤرخين ، المؤرخ ابن خلدون حيث يقول:".... و انطوى هذا الإمام راجعا إلى المغرب بحرا متفجرا من العلم و شهابا واريا من الدين ، و كان قد لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة ، ...و ذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآيات و الأحاديث بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن إتباعهم في التأويل و الأخذ برأيهم فيه و الاعتقاد بمذهب السلف في ترك التأويل و إقرار المتشابهات كما جاءت ، فبصر المهدي أهل المغرب في ذلك و حملهم على القول بالتأويل و الأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد..."[5]

و كذلك "المقريزي"، حيث يذكر في معرض حديثه عن انتشار الأشعرية بمصر على يد "صلاح الدين الأيوبي". في القرن السادس أنّ "المهدي بن تومرت" (ت 524 هـ/1130م) ،هو أول من

4- ابن خلدون: العبر،ج6،ص300 و ما بعدها؛ نجم الدين الهنتاتي:تطور موقف علماء المالكية بإفريقية من الخوض في المسائل الكلامية و تبنيهم للعقيدة الأشعرية،ص300.

5- نجم الدين الهنتاتي: القيروان مركز لنشر المذهب الأشعري، مجلة الحياة الثقافية،العدد 208، 2009م،ص103، 106.

6-Hadi roger idriss; issai sur la diffesion de lacharlsme en afrique cahiers de, tenesie, 2eme, 1953. P 139.

4- أبو بكر بن الحسن المرادي الحضرمي، قدم الأندلس و روى عن علمائها، كان رجلا نبيها عالما فقيها، توفي سنة 489 هـ انظر ترجمته: أبو القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال: الصلة،ج 2، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، القاهرة، 1966م،ص ص: 604 - 605.

5- ابن خلدون ، تاريخ بن خلدون ، ،ج6، ص : 300 .

أدخل المذهب الأشعري إلى بلاد المغرب الإسلامي، و في ذلك يقول: «فاستمر الأمر على عقيدة الأشعري بديار مصر و بلاد الشام و أرض الحجاز و اليمن و بلاد المغرب أيضا لإدخال "محمد بن تومرت" رأي الأشعرية إليها»[1]، و منهم أيضا "عبد الواحد المراكشي"، حيث اعتبر أن "ابن تومرت" هو أول من عرَّف أهل المغرب بعلم الكلام الذي تعلَّمه خلال رحلته إلى المشرق.[2]

و من الباحثين الذين قالوا بمثل هذا القول أحمد محمود صبحي، إذ جاء عنه ما نصه: «انتشر المذهب الأشعري بين المالكية منذ "الباقلاني من في المشرق و "ابن تومرت" الذي أحل الأشعرية محل الظاهرية في المغرب الإسلامي....»..[3]

في حين أن الباحث ابراهيم التهامي يرى أن اعتناق الطريقة الأشعرية في التصور العقدي لم يكن ليتم قبل القرن السادس الهجري، بل كان هذا الفكر مقتصرا على عدد محدود من الأفراد[4]، إلا إذا استثنينا ما ذكره "ابن حزم" في فصله من «أن الأشعرية قامت لهم سوق بصقلية و القيروان، ثم رق أمرهم و الحمد لله رب العالمين)).[5]

غير أن هذا القول – دخول الأشعرية في القرن السادس الهجري- بالنسبة لكثير من الباحثين غير صحيح و دليل ذلك ما ذهب إليه كل من : الباحث المبروك منصوري إذا يقول:" لم يعد لفكرة نسبة إدخال الأشعرية إلى بلاد المغرب إلى المهدي بن تومرت (524هـ/1130م) أيّ قيمة علمية.... إذ أن الأشعريّة قد انتشرت في بلاد المغرب في النصف الثاني من القرن الهجري الرابع...."[6]، و كذلك الباحث محي الدين عزوز الذي يقول:"....إذا كان مذهب الأشعري انتشر انتشر في القرن الرابع و الخامس الهجرة فما بال ابن خلدون- و غيره من الباحثين المتأخرين- يذكر في مقدمته أن (المهدي) جاء داعيا إلى الحق آخذا بالمذاهب الأشعرية ناعيا على أهل المغرب

---

1 – المقريزي: ، المواعظ و الاعتبار،ج2، ص – ص: 343 – 358.

2- عبد الواحد المراكشي: المعجب ،ص ص: 159 ،160.

3- أحمد محمود صبحي: المرجع سابق، ج 2،ص: 33.

2- إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص:250؛ نجم الدين الهنتاتي: القيروان مركز لنشر المذهب الأشعري ،ص105.

3- ابن حزم، الفصل في الملل و الأهواء و النحل، ج4،ص: 204.

4- المبروك المنصوري : الأشعرية في بلاد المغرب،ص03، 04.

عدولهم عنها إلى تقليد السلف في ترك التأويل لظواهر الشريعة و ما يؤول إليه ذلك في تجسيم كما هو معروف من مذهب الأشعرية....هل يفهم من هذا أن المذهب الأشعري كان قبل ابن تومرت قاصرا على الأوساط العلمية أو بعض المراكز الثقافية فنشره هذا الأخير في مناطق لم يصل إليها من قبل كقبيلة مصمودة التي فتحت صدرها لتعاليم ابن تومرت. أقول هذا لأن المغاربة في ذلك الوقت لم يقتصروا على معرفة الأشعرية بل نشرها بعضهم في المشرق كما فعل أبو عبيد الله محمد بن أبي بكر التميمي القيرواني عتيق السوسي (ت 512هـ/1118م)الذي كان علامة في فن الكلام و أسندت إليه وظيفة التدريس في نظامية بغداد و دفن بجانب أبي الحسن الأشعري...."[1]

و هو ما يؤكده الباحث محمد المغراوي بقوله:"....اعتبرت إفريقية بحكم موقعها جسرا للتواصل بين المغرب الأقصى وبين الثقافة المشرقية، وكان ارتباط المغاربة بالقيروان ارتباطا روحيا متينا خاصة بعد تراجع التأثير الشيعي (الفاطمي). يعود دخول الأشعرية إلى إفريقية إلى مرحلة مبكرة بعد وفا الإمام أبي الحسن الأشعري (260-324هـ / 874-935م) ، ثم انتشرت بسرعة في الأوساط العلمية، واهتم بها العلماء اهتماما ملحوظا إلى حد أنهم أصبحوا " لا يرون مخالفة أبي الحسن في نقير ولا قطمير" على حد تعبير الإمام أبي عبد الله المازري (ت 536هـ / 1141م) [2]. و الذي يقول أيضا في شرح "البرهان" في مسألة خالف فيها أمام الحرمين أبا الحسن الأشعري و ليست من القواعد المعتبرة و لا المسائل المهمة، من خطأ شيخ السنة أبا الحسن الأشعري فهو المخطئ".[3] و يؤكده كذلك الباحث نجم الدين الهنتاتي:"...بل إن المذهب لقي على المدى الطويل عناية فائقة لدى علماء القيروان من المالكية " بحيث لا يرى مالكي إلا أشعريا" ..."[4]

1- محي الدين عزوز: التطور المذهبي بالمغرب(و دراسة قصة حي بن يقظان)، نشر الشركة التونسية للتوزيع،تونس،1976،ص30، 31.

2-محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، فصل من كتاب التاريخ والفقه- أعمال مهداة إلى المرحوم محمد المنوني- تنسيق محمد حجي، ،ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،2002، ص135.

3- محي الدين عزوز: التطور المذهبي بالمغرب،ص30.

4- نجم الدين الهنتاتي: القيروان مركز لنشر المذهب الأشعري ،ص105.

و انطلاقا من تلك الآراء المتضاربة التي سبق ذكرها، نخلص إلى القول بأن أهل المغرب عرفوا المذهب الأشعري في فترة مبكرة أي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، ربما و صاحبه على قيد الحياة، و الغالب عند بعض الباحثين بعدها بقليل – تقريبا مع بداية العهد المرابطي-[1].

أما عن الأندلس فقد دخلت الأشعرية إليها في مرحلة مبكرة أيضا، على يد من تتلمذ من علمائها لأئمة الأشعرية من المشرق، وقد احتفظ عبد الحق بن عطية (ت 541هـ/1147م) بأسانيد علماء الأندلس التي كتبها في فهرسته . وقام مجموعة من العلماء بجهود بارزة في سبيل نشرها أمثال الإمام أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي (ت 392هـ / 1001م) والمحدث أبي عمر الطلمنكي(ت429هـ/1038م)، والمقرئ أبي عمرو الداني (ت 444هـ/1052م) تلميذ أبي الحسن القابسي، وصاحب عدة تآليف في العقيدة الأشعرية ، والفقيه الأصولي أبي الوليد الباجي (ت 474هـ/1081م) الذي تتلمذ لإمام شافعي وأشعري ومحدث شهير هو الخطيب البغدادي (ت 463هـ/1071م) . بينما وقف في الجانب الآخر فئة من الفقهاء والأصوليين والمحدثين كأبي محمد بن حزم وأبي عمر بن عبد البر وغيرهم ممن كانوا يحرمون علم الكلام والنظر في كتبه من منطلق كراهة الجدال في العقيدة.

و شهدت الأندلس نقاشا حادا حول مسألة الكرامة الصوفية بين الأشاعرة وغيرهم. ويجب التذكير بأن جهود القاضي أبي بكر بن العربي المعافري (ت 543هـ/1148م) و هو من تلاميذ كبار أشاعرة المشرق كأبي حامد الغزالي كانت ملحوظة في الوصول بالأشعرية في الأندلس إلى مرحلة متقدمة على المستوى العلمي . هذا فضلا عن رؤيته لضرورة وصل الأشعرية بكل من المذهب المالكي والتصوف .[2]

1– عوامل دخول و انتشار المذهب الأشعري في بلاد المغرب:

يكاد يتركز اهتمام جلّ الباحثين في انتشار الأشعريّة في بلاد المغرب على سببين : علمي و سياسي . إلا أنه ظل ينظر إلى هذين السببين منفصلين، دون محاولة الخروج من التفسيرات التي

5- نجم الدين الهنتاتي: القيروان مركز لنشر المذهب الأشعري،ص105؛ عبد المغيث جيلاني:المدرسة الأشعرية بالمغرب و الأندلس : أعلامها و جهودها، ،ص32.

1- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص137.

توصّل إليها روجي إدريس في مقاله السالف الذكر.[1] بحيث أن هناك أسباب أخرى يمكن أن يكون لها الفضل في انتشار الفكر الأشعري ببلاد المغرب.

1-1- العوامل الدينية و العلمية:

– توسط المذهب الأشعري: يقوم المذهب الأشعري على مبدأ التوسط و الاعتدال. فقد رفض غلو المعتزلة الذين رأوا أن الإنسان مخير في أفعاله، كما رفض مبالغة الجبرية الذين رأوا أن الإنسان مسير في أفعاله، و بذلك تحدث علماؤه عن مبدأ الكسب[2].فقد بلور الأشعري العقيدة السنية، إذ أنه" توسط بين الطرق و نفى التشبيه و أثبت الصفات المعنوية، و قصر التنزيه على ما قصره السلف.كما حرص الأشعري من ناحية أخرى على إبراز مذهبه" على طريقة أهل الحديث"، و هو أمر يتماشى و طبيعة المذهب المالكي، كما صرح بأن مالك بن أنس كان يتعاطى في الكلام.[3]

– دور المذاهب في نشر العقيدة الأشعرية : حيث أن دور المذهب المالكي[4] كان حاسما في انتشار الأشعرية بإفريقية، إضافة إلى مساهمة المذهب الشافعي. وقد رأى الباحثين أن انتشارها جاء كرد فعل ضد هيمنة مذهب الاعتزال[5] على أوساط علماء السنة بالقيروان منذ منتصف القرن الثاني للهجرة[6] . و في هذا يقول الهنتاتي:" ...ساهمت هزيمة الإرجاء و الاعتزال بالقيروان في تمهيد

2- المبروك المنصوري: المرجع السابق،ص06.

3- نجم الدين الهنتاتي: القيروان مركز لنشر المذهب الأشعري ،ص107.

1- نجم الدين الهنتاتي:تطور موقف علماء المالكية بإفريقية من الخوض في المسائل الكلامية و تبنيهم للعقيدة الأشعرية،ص.301

2- للإطلاع على هذا الدور بالتفصيل ينظر: مليكة ختيري: جهود الفقهاء المالكية في ترسيخ المذهب الأشعري بالغرب الإسلامي، مجلة الفرقان، العدد 63، مطبعة النجاح الجديدة، الدرا البيضاء،2009،ص:57-66.

3- يرى المنصوري أن "الأشعرية لم تكن ردا على مذهب الاعتزال المنتشر في الأوساط السنية بالقيروان منذ منتصف القرن الثاني الهجري كما تصور أحمد بكير وتابعه على ذلك الهنتاتي محتجا برأي ابن خلكان في الأشعري . وهو رأي إن صح بالنسبة إلى المشرق فإنه لا يصح بالنسبة إلى المغرب لأن البيئات لا تعكس بعضها بعضا، ولأنه عندما انتشرت الأشعرية في =بلاد المغرب في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري لم يعد المعتزلة المغاربة يمثلون أي قوة فكرية أو سياسية ومن ثم خطرا على فقهاء المالكية رغم أن وجودهم تواصل إلى حدود القرن السابع الهجري في المناطق ذات النفوذ الإباضي."المرجع السابق،ص 16.

4- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص136.

الأرضية لانتشار المذهب الأشعري بها في مرحلة لاحقة... أدى هذا إلى التقارب بين المذهب الأشعري و المذهب المالكي هذا الذي انتصر بالقيروان منذ منتصف القرن3هـ/9م. فهذان المذهبان يدافعان عن العقيدة السنية."[1]

كما شهدت المدرسة الكلامية المالكية تراجعا في نشاطها،خاصة بعد محمد بن سحنون (ت 256هـ/869م) و تجلى ذلك خاصة في بداية العهد العبيدي خلال مجالس المناظرات التي عقدت مع الحكام العبيدين(الفاطميين)، إذا أن علماء مجالس المالكية لم يتمكنوا بصفة جيدة من الدفاع عن مبادئ مذهبهم[2]، لذلك من الطبيعي جدا أن يجد علماء المالكية في المذهب الأشعري خير سند لتزويدهم بالحجج و الأدلة العقلية للدفاع عن مذهبهم من الناحية العقائدية.[3]

في حين يرى أحد الباحثين أن هذا العامل لا يمكن التعويل عليه في ربط انتشار الأشعرية في بلاد المغرب بدور المذاهب الفقهية في ذلك، و يتجلى ذلك في قوله:"... وبعد هذا هل يمكن أن نعزو انتشار الأشعرية في بلاد المغرب بين فقهاء المالكية إلى التقارب بين مذهبهم والمذهب الأشعري، باعتبار هذا التقارب حدثا تاريخيا في ظرفية معينة ودقيقة لا باعتباره خصيصة واسمة أو اختيارا اقتناعيا. ولو كان التقارب بين المذاهب الفقهية أو العقدية قادرا على تغيير الانتشار لكان الفقه الحنبلي من أكثر الفقه انتشارا في بلاد المغرب إلا أننا لا نكاد نعثر على أتباع للحنبلية فيها . و سيتضح أن هذا التفسير الذي اعتمد لفترة طويلة من الزمن تفسير مخادع إذا تعرفنا إلى التطورات

5- نجم الدين الهنتاتي: القيروان مركز لنشر المذهب الأشعري،ص107.

1- ربما بسبب افتقارهم إلى هيكل منظم وواضح المعالم لاتجاههم الفقهي، رغم وجود تلك العقيدة التي أعطاها الإمام مالك لابن وهب و خاصة بسبب قلة تمرسهم في الجدل و المناظرة، و قلة خبرتهم في علم الكلام، فقد سأل أبو العباس الصنعاني في أحد المجالس من حضر من المدنيين و العراقيين عن السنة، فلم يقدروا على الإجابة و كانت الإجابة الجيدة من قبل سعيد بن الحداد (ت 302هـ/915م) الذي لم يكن من المالكية آنذاك، كما استنجد موسى القطان (ت306هـ/918م) العالم المالكي بسعيد بن الحداد لإجابة أبي عبد الله الشيعي عن سؤال وجهه إليه يخص حد الخمر، ينظر: المالكي: رياض النفوس،ج2،ص 78، 79؛ نجم الدين الهنتاتي:تطور موقف علماء المالكية بإفريقية من الخوض في المسائل الكلامية و تبنيهم للعقيدة الأشعرية ،ص301.

2- ابن خلدون: المقدمة،ص293؛ عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص: 433؛نجم الدين الهنتاتي:تطور موقف علماء المالكية بإفريقية من الخوض في المسائل الكلامية و تبنيهم للعقيدة الأشعرية ،ص301 و ما بعدها.

الأساسية للعقيدة الأشعرية."[1]

– **جهود علماء الأشاعرة في نشر عقيدتهم** : دافعت الخلافة العباسية عن العقيدة السنية، و في إطار مواجهتها للخطر الشيعي(الفاطمي)، سخرت لذلك عددا من الدعاة الذين تفرقوا في العالم الإسلامي مشرقا و مغربا، ووصل بعضهم إلى القيروان. كما شجعت عددا من علمائها على التأليف في الدفاع عنها و القدح في (الفاطميين) الشيعة. و قد أحسن القيام بهذه المهمة الإمام البلاقلاني (ت 403هـ/1012م) الذي كان مالكيا أشعريا، و قد لاقت هذه الدعوة استحسانا لدى علماء المالكية القيروانيين الذين استحكمت العداوة بينهم و بين الفاطميين، فرأو في المذهب الأشعري الذي تدعو إليه الخلافة العباسية خير وسيلة لمواجهة العبيديين(الفاطميين)، و بذلك ظهر نوع من التلازم بين المذهب المالكي و العقيدة الأشعرية، و من بين العلماء أيضا الإمام أبو المعالي الجويني إمام الحرمين (ت 478هـ/1085م) كمرحلة أولى ، ثم الإمام الغزالي (ت 555هـ/1160م) في مرحلة ثانية، و هنا يبرز تأثير شخصية هؤلاء العلماء الأشاعرة على طلبتهم و تلاميذهم من أهل المغرب.[2]

– **اتصال المغاربة بنظرائهم الأشاعرة في المشرق و جهودهم في نشر الأشعرية** لعبت الرحلة في طلب العلم دورا حاسما في تلقي علماء المغرب المذهب الأشعري إلى جانب الفقه و السلوك و الحديث، خصوصا مع ظهور علماء كبار أمثال الباقلاني الذي كانت له الريادة في الفقه المالكي و أصوله و علم الكلام على طريقة الأشاعرة، فقد كان المغاربة يقصدونه لمالكيته. فيأخذون عنه الفقه و الأصول، كما يأخذون عنه العقيدة الأشعرية[3]، هذا ما أدى إلى اعتقاد بعض فقهاء المالكية المغاربة بالعقيدة الأشعرية، حيث أن الفضل يعود في نشر الأشعرية في بلاد المغرب لعدد من العلماء المالكيين تلاميذ الباقلاني (ت 403هـ/1012م) إمام المالكية ببغداد وأحد كبار المتحمسين للمذهب الأشعري. نذكر منهم بالخصوص أبا الحسن القابسي (ت 403هـ

3- المنصوري: المرجع السابق،ص09.

1- نجم الدين الهنتاتي: القيروان مركز لنشر المذهب الأشعري ،ص107.

2- عبد الله معصر: العقيدة الأشعرية بالمغرب أصالة و امتداد، ،ص69.

/1012م) الذي يعتبر إسهامه أساسيا في هذا الصدد[1] وأبا عبد الله الأذري[2] ، وأبا طاهر البغدادي نزيل القيروان[3] ، وأبا عمران الفاسي (ت 430هـ /1038م) في مرحلة متقدمة. و ابن تومرت (ت 524هـ/1130م) و ابن العربي (ت 543 هـ/1148م)، و السلالجي (ت594هـ) في مرحلة متأخرة.

– **زعم كثير من المغاربة أن الأشعرية هي الفرقة الناجية:** و لعل مرد لك إلى أن رؤوسه يصنفون أفكارهم ضمن آراء أهل السنة و الجماعة.[4] و هذا ما يتأكد من قراءة الكتب المؤرخة للفرق[5]. و التي من الملاحظ أن كتابها أشاعرة؛ فهي تنطلق جميعا من الرغبة في بيان " الفرقة الناجية" و تمييزها عن سائر الفرق الأخرى، التي تصنف على أنها ضالة أو هالكة أو ما شابه ذلك، انطلاقا من الحديث المأثور القائل بافتراق الأمة ثلاثا و سبعين فرقة، منها واحدة ناجية.[6]

– **حركة التأليف و المصنفات:** و إلى جانب الدعاة الذين نشطوا في نشر هذا المذهب بالمغرب، هناك عامل آخر لا يمكن إغفاله في هذا الصدد، و هو التأليف و المصنفات التي وضعها رواد هذا المذهب بالمشرق و انتقلت إلى المغرب، فدخلت مصادر أشعرية كثيرة إلى بلاد المغرب تذكرها كتب الطبقات إما بإجمال عندما يتعلق الأمر بفقيه أشعري وإما بتفصيل مركزة على أهمها. ومنها:

– "الرسالة" لابن مجاهد الطائي (980/370).وهو من تلاميذ الأشعري وأحد الذين انتشرت

3– عبد المجيد بن حمدة:المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية، ط1،مطبعة دار العرب،تونس،1406هـ/1986م، ص10.

4– ابن عساكر: المصدر السابق، ص 216–217

5– المصدر نفسه: ص. 216–217.

1– يقول سالم يفوت في هذا الشأن: "....الحقيقة أن لفظ أهل السنة و الجماعة لفظ مشترك، كما يقول المناطقة، فهو يعني عامة كل من يتمسكون بعقيدة السلف، و على رأسهم الإمام احمد بن حنبل و الإمام مالك ، بل حتى الأئمة الأربعة. و هي عقيدة خالية من أساليب علم الكلام و أهله تقرر العقائد بدءا و لا تعالجها عقلا، لكن القراءة المتأنية للكتب المؤرخة للفرق و الملل و النحل، تثبت للقارئ العكس، فهي تقدم بيان اتقاد أهل السنة و الجماعة في قالب كلامي أشعري متأخر...": الأشعرية في المغرب،ص.61

2– من هذه الكتب: الفرق بين الفرق للبغدادي(ت429هـ)؛ و كتاب التبصير في الدين و بيان الفرقة الناجية من الفرق الهالكين للأسفراييني(ت 471هـ)؛ و كتاب الملل و النحل للشهرستاني (ت 548هـ).

3– سالم يفوت: الأشعرية في المغرب، ص61؛ نزيهة معاريج: الفكر الأشعري دعوة سنية و ضرورة حضارية، مجلة الفرقان، العدد 63، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،2009،ص05 و ما بعدها.

عنهم الأفكار الأشعرية.

– كتب الباقلاني (1012/403) منها "رسالة الحرة" و تُعرف أيضا "بالإنصاف"، و قد كانت هذه الرسالة متداولة في المغرب، إذ كان "ابن ورد" [1] يرويها، و من كتب "الباقلاني" التي كانت تدرس في المغرب أيضا كتاب "التمهيد"، و علاوة على ذلك فقد بلغ إعجاب المغاربة "بالباقلاني" أنهم كانوا يرسلون إليه يستفتونه في الحوادث و النوازل التي كانت تقع لهم.[2]

و من الكتب التي لاقت رواجا في المغرب أيضا، كتب "ابن فورك" (ت 406 هـ/1015م) و بالخصوص كتاب "تأويل مشكل الحديث" ،الذي دخل هذه البلاد عن طريق الرواية الشفهية، فقد رواه عدد من الرواة نذكر منهم "ابن المرسي"[3][4] و كتاب "اعتقادات الموحدين" الموحدين" ، و "الإرشاد" للجويني (478 هـ/ 1085 م). وقد شرحه أبو الحسين بن الضحاك الغرناطي (1157/552). وسماه "منهاج السداد في شرح الإرشاد". كما شرحه المازري (530 /1136). وسمّاه"المهاد في شرح الإرشاد". وشرح أيضا كتاب "البرهان". وسماه "البيان لشرح البرهان". وشرحه محمد بن علي التميمي المهدوي (1141/536م). وسماه "إيضاح المحصول من برهان الأصول".

– أما ألكيا الهراسي (504 /1110) فقد تتلمذ عليه محمد بن تومرت وأبو عبد الله محمد بن أحمد الجياني المشهور بالبغدادي (547 /1152). كما دخل أبو الحسن علي بن أحمد الربعي المقدسي التاجر (531 / 1137) تلميذ الشيرازي (476 /1083) بلاد المغرب. والتقى به عياض بسبتة. وأجاز له جمع رواياته. وتذكر جملة من كتب الإسفراييني وأغلب كتب أبي حامد الغزالي (505/ 1111) التي نقلها أبو بكر بن العربي من المشرق.[5]

4– أبو القاسم احمد بن محمد بن عمر التميمي المعروف بابن ورد، كان أبوه من أهل القيروان، ولد سنة 465 هـ، و توفي في رمضان سنة 540 هـ ، انظر ترجمته : أحمد بن يحي بن عميرة الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، مكتبة المثنى، بغداد، مؤسسة الخانجي، مصر، 1884م ، ص: 154.

1– إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة،ص: 257؛ المنصوري: المرجع السابق،ص14.

2– أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد النفزي الخطبيب المعروف بابن المرسي، ولد سنة 453 هـ أما وفاته فصادفت سنة 538 هـ ، انظر ترجمته: الضبي: المصدر السابق، ص: 325.

3– إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص: 257.

4– المنصوري: المرجع السابق،ص14، 15.

– دور المؤسسات العلمية – مدينة القيروان– في نشر العقيدة الأشعرية: و يبرز هنا دور مدينة القيروان، حيث عرفت مذاهب دينية متنوعة يمكن تقسيمها إلى صنفين: مذاهب فقهية مثل المذهب المالكي و المذهب الحنفي و المذهب الشافعي، و مذاهب عقدية مثل الأشعرية و الإرجاء و الاعتزال. و لئن دخل هذان المذهبان الأخيران إلى تلك المدينة بصفة مبكرة، فإنهما لم يلقيا بها رواجا، فتحولت القيروان منذ القرن 5هـ/11م إلى مركز لنشر ذلك المذهب على مستوى الغرب الإسلامي، و أصبحت مع القابسي مركزاً مشعا لنشر المذهب الأشعري على مستوى إفريقية، بما أن هذا العالم عرف أهل مدينة تونس ببعض مبادئه، وعلى يدي تلاميذ أبي عمران الفاسي دخل المذهب الأشعري إلى المغرب الأقصى والأندلس، فرغم سقوط القيروان إثر زحف بني هلال، فإن إشعاعها كمركز لنشر العقيدة الأشعرية لم ينقطع على الأقل وقتيا. فقد تفرق علماؤها في الآفاق، نذكر منهم أبا بكر محمد بن الحسن المرادي القروي (ت 489/ 1095م). تنقل هذا العالم بين مدن الأندلس ثم مدن المغرب ليستقر بأغمات ثم نهائيا بالصحراء حيث عرف بالمذهب الأشعري.[1]

و يقول الهنتاتي أيضا :"... حّول نجاح المذهب الأشعري لدى علماء المالكية القيروان إلى مركز لنشر ذلك المذهب على مستوى إفريقية، ثم على مستوى بلدان الغرب الإسلامي لا سيما المغرب الأقصى و الأندلس، بل إن ذلك التأثير شمل جزئيا بلاد السودان بما ان المرادي القروي دخل إلى تلك البلاد و استقر بها خلال فترة معينة."[2]

من المعطيات السابقة نستنتج أن المذهب الأشعري دخل إلى المغرب الأقصى على أيدي علماء قيروانيين، كان ذلك منذ بداية العهد المرابطي، مما يسمح لنا بمراجعة قول من يذهب إلى أن ذلك المذهب دخل المغرب في بداية العهد الموحدي لا سيما مع محمد بن تومرت. على أن الإمام أرسى ذلك المذهب في المغرب الإسلامي، و سعى بعقيدته" المرشدة" إلى تهذيب عقيدة العامي و تثقيفها، بل إنه فرض ذلك المذهب بالسلطة السياسية.[3]

– الجدل المذهبي و أثره في التحول العقدي نحو الأشعرية:

1– نجم الدين الهنتاتي: القيروان مركز لنشر المذهب الأشعري، ،ص103، 106.

2– المرجع نفسه،ص107.

3– ابن خلدون: العبر،ج6،ص 300؛ نجم الدين الهنتاتي: القيروان مركز لنشر المذهب الأشعري، ،ص.107

شهد النصف الثاني من القرن الرابع الهجري تعمق انتشار الأشعرية في بلاد المغرب، فعمل فقهاء المالكية على امتلاك بعض مقالاتها الوظيفية التي تمثل صياغات تمكنهم من الرد على خصومهم ردا منظما، ولكن هذا التعمق حدث بعد تراجع المذهب الشيعي الإسماعيلي، وغير الإسماعيلي كذلك، من بلاد المغرب إثر رحيل العبيديين(الفاطميّين) إلى مصر سنة (972/361).ومن هنا حدث تطور عقدي في بلاد المغرب، و الذي يرجع أساسا إلى الجدل الثلاثي المالكي – الشيعي– الإباضي، إلا أن هذا الجدل ظل غائبا في أغلب الدراسات التي حللت هذه القضية انطلاقا من وجهة نظر أحادية واعتمادا على مراجع أحادية غالبا ما تكون مالكية.[1]

و يؤكد المنصوري دور هذا العامل الحاسم بقوله:"...و مما لا شك فيه أن لتطور الفكر الأصولي عند الإباضية خاصة منذ أواسط القرن الخامس الهجري الأثر الكبير في تعمق الفكر الأشعري في بلاد المغرب، خاصة وأن الأشعرية تمثل تنظيما لشتات المقالات العقدية التي كان يتبناها فقهاء المالكية في بلاد المغرب. بينما كان الإباضية يصوغون مقالات أخرى مخالفة لها يعملون بواسطتها على نقض المقالات السنية من جهة وعلى إثبات مساهمتهم في تشكيل الفكر الأصولي في بلاد المغرب من جهة أخرى. ونحن نعتبر أنه كان للحضور الشيعي أثر في دخول الأشعرية إلى بلاد المغرب، دون أن نقول بأحادية هذا العامل. كما نعتبر أن تطور الفكر الأصولي الإباضي، انطلاقا من اغتنائه بمقالات اعتزالية واصلية ومقالات شيعية زيدية، هو المساهم الأكبر في تعميق الأشعرية في بلاد المغرب وفي أيمان المالكية بها. إن الجدل بين هذه الأقطاب الثلاثة حسب تصورنا هو الذي أدى إلى تجذير العقيدة الأشعرية في البيئة المغربية. وقد بين الاطلاع المعمق على المصادر الأصولية المؤلّفة بين القرن الأول والقرن السادس الهجريين أن هذه الأقطاب الثلاثة قد أغنت مقالاتها العقدية بمقالات فرق لم تظهر على الساحة المغربية مثل الزيدية، وأخرى قد ظهرت مثل الواصلية."[2]

1–2– العوامل التاريخية و السياسية:

1- المنصوري: المرجع السابق،ص12.

2- نفسه ،ص13، 14.

– سياسة الشيعة الباطنية و أثرها على علماء المالكية في التمكين للمذهب الأشعري:

لحق علماء المالكية بإفريقية ضرر كبير خلال الفترة الأولى من العهد العبيدي(الفاطمي) التي تقف عند حد ثورة أبي يزيد (332-336هـ/943-947م)، إذا أنهم فقدوا جل امتيازاتهم التي كانوا يتمتعون بها في العهد الأغلبي، فعمدوا إلى مقاومة العبيديين(الفاطميين)، كما سعوا في العهد الصنهاجي إلى دفع المعز بن باديس(406-454هـ/1016-1062م) على مقاطعة العبيديين، حين رغب في التلقب بلقبي خليفة و أمير المؤمنين، إلا أن أبا عمران الفاسي(ت 430هـ/1038م) أحد علماء المالكية الأشاعرة و أحد تلاميذ الباقلاني، الذي أثناه عن ذلك مذكرا إياه بأنه ليس من قريش، و هدفه من ذلك هو توجه الأمير نحو الدعوة للعباسيين، و هذا ما تم فعلا. و هنا نتساءل بماذا نفسر إلحاح هذا العالم على هذا التوجه للعباسي؟ يعود هذا التوجه إلى الثقافة التي تلقاها أبو عمران الفاسي عن الباقلاني ثقافة من الناحية العقائدية، أما من الناحية السياسية فهي تتميز بمساندتها المطلقة للعباسيين، مع عداوة للشيعة. و للتدليل على ذلك يكفي أن نذكر ببعض عناوين مؤلفات الباقلاني مثلا" كتاب كشف الأسرار في الرد على الباطنية"، و كتاب" إمامة بني العباس" و آخر في " نصرة العباس و إمامة بنيه"، إذن فعداوة المذهب الأشعري للشيعة تتماشى و كره علماء افريقية للعبيديين(الفاطميين)، لذلك كان من الطبيعي أن ينجح هذا المذهب بسرعة كبيرة بينهم.[1]

في حين لا يعطي المنصوري هذا العامل أهمية إذ يعتبره جزء صغير من عدة أجزاء، و أنه بمفرده غير قادر على تفسير انتشار الفكر الأشعري ببلاد المغرب فيقول:"... ولا يمكن أن يكون فقهاء المالكية قد تبنّوا الأشعرية مباشرة لعلاقتها العدائيّة بالتشيّع لأن هذه العلاقة لم تتجلَّ بالنسبة إلى المالكية إلا في عهد أبي بكر الباقلاني (403 /1012) أي بعد تراجع المد الشيعي تراجعا كبيرا وتحوّله إلى تشيّع شكلي: سياسي. ونحن نرى أن العامل السياسي غير قادر بمفرده على تفسير انتشار الأفكار ، بل هو مجرّد عنصر صغير جدّا في مجموعة متضافرة تمثل بنية مترابطة كل عنصر فيها فاعل بقدر فاعلية غيره وعمقه دون أن ننفي أهميّة بعض العناصر على بعضها الآخر."[2]

1- نجم الدين الهنتاتي:تطور موقف علماء المالكية بإفريقية من الخوض في المسائل الكلامية و تبنيهم للعقيدة الأشعرية ،ص304، 305.

2- المنصوري: المرجع السابق،ص17.

– تبني ابن تومرت و الدولة الموحدية المذهب الأشعري مذهبا رسميا:

يبرز لنا مصطفى مغزاوي الدور الحاسم الذي لعبه ابن تومرت في نشر المذهب الأشعري في بلاد المغرب فيقول:".... كان لحركة محمد ابن تومرت السياسية في المغرب الإسلامي صبغة دينية عقيدية لما اتخذ المذهب الأشعري إيديولوجية للإطاحة بالمرابطين الذين ضعف شأنهم في آخر عهدهم ، و نجح هو و خلفاؤه بعد حروب و مؤامرات طويلة في إقامة دولة في الغرب الإسلامي تعمل جاهدا على رعاية المذهب الأشعري رسميا والحط و النيل من كل من يعارضه ....و كانت للرعاية السياسية التي أحاطت بمؤلفات بن تومرت في الأصول الأشعرية – لا سيما " رسالة المرشدة " منها – دورها البالغ في انتشار المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي خاصةً لما حظيت به من رعاية سياسية رسمية سلطوية في عهده و عهد خلفائه ، و لما حظيت به أيضا من شروح و تعاليق أسهمت في ترسيخ المذهب الأشعري و استمراريته في المغرب الإسلامي ."[1] و قد ميز الباحث بين طريقتين أتبعهما "المهدي" ابن ترمرت لنشر مذهبه فيقول:"... سنميز في جهود بن تومرت السياسية لإقرار المذهب الأشعري جانبين أو أسلوبين ، أحدهما أسلوب غير مباشر و هو أسلوب الخداع و المراوغة و انتحال الكرامات واستمالة العامة و الأتباع ، و الأسلوب المباشر المتمثل في أسلوب القوة و العنف الذي اعتمده بن تومرت لإبادة الدولة المرابطية بصفتها العائق الأكبر الذي يحول دون استقرار المذهب الأشعري.." و هذا ما يصور لنا "....ضخامة و جسامة تلك المجهودات السياسية التي قام بها ابن تومرت و أصحابه ، لأن حركتهم كانت حركة سياسية مذهبية....ومن هذا كله يمكن الجزم أن الدور السياسي للموحدين كان الحسم في توطيد المذهب الأشعري في شتى أنحاء إمبراطوريتهم المترامية الأطراف.."[2]

2– عوامل تأخر اعتناق المذهب الأشعري ببلاد المغرب:

يتبين مما تقدم أن المغرب بمختلف مناطقه كان له عهد بالمذهب الأشعري قبل القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، إلا أن حضور المذهب به لم يتعد استيعابه و العلم به من قبل جميع العلماء ،و اعتناقه و التحمس له من قبل البعض منهم، و لم يكن له حظ من الانتشار

1– دور العامل السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي و مغربه، ص–ص : 38–48.

2– للإطلاع أكثر على جهود ابن تومرت في نشر المذهب الأشعري يمكن الرجوع إلى:مصطفى مغزاوي: المرجع السابق،ص–ص:40–45.

و العموم بحيث يصبح معتنق العامة من الناس، عليه تجري أذهانهم في التصور العقدي، و به تنطق ألسنتهم و أقلامهم في أقوالهم و مؤلفاتهم. [1]

فعلى الرغم من مثابرة أولئك الدعاة في نشر المذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي، إلا أن انتشار هذه العقيدة ظل محدودا،و مقتصرا على طبقة العلماء و لا غير، و لم تُعرف الأشعرية في المغرب كمذهب يتمذهب به عامة الناس و خاصتهم إلا فيما بعد القرن السادس الهجري. [2]

و يعود تأخر المغرب في اعتناق الأشعرية مذهبا عاما في العقيدة طيلة قرنين من الزمن (**4 – 5 هـ/10–11م**) إلى عدة عوامل نختصر منها:

أولا: قلة المعارضين للعقيدة السلفية بالمغرب عموما مقارنة بما كان عليه الأمر بالمشرق، و من البيّن أن التحديات المعارضة المستعملة للأدلة العقلية، من أهم الدوافع إلى اعتناق السلفيين للأشعرية إحكاما للحجة العقلية و قطعا للخصوم، و ما نشأ بالقيروان من الحوار الذي أشرنا إليه آنفا كان أمرا قليلا. [3]

ثانيا: سيطرة الشيعة على القيروان مركز الإشعاع المغربي أكثر من نصف قرن (من 297 / 909م إلى 361 هـ/ 972م) مما ضيَّق من نمو الفكر السني نحو الأشعرية باستعمال القهر السياسي و العقدي الذي كان يمارسه الشيعة، ثم تعرُّض القيروان للتخريب من الأعراب سنة 444 هـ / 1052م حينما كانت تستعد لتقبل أشعري غزير و عميق كما بيناه، فانتكست هذه الوجهة بانتهاء الدور العلمي الرائد للقيروان. [4]

ثالثا: تأخر دخول الأشعرية بصفة عميقة إلى مصر بعامل انتقال الحكم الشيعي من إفريقية إليها سنة 361هـ /972 م فقد ذكر "المقريزي" أن الأشعرية لم تنتشر بمصر إلا بعد منتصف القرن السادس على عهد "صلاح الدين الأيوبي" (ت 589هـ/ 1193م) الذي كان أشعري العقيدة،

1- عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص: 439.

2- إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص: 250.

3- عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت ، ص: 439.

4- عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت ، ص440.

فلما تولى السلطة حمل الكافة على عقيدة الشيخ "أبي الحسن علي ابن إسماعيل الأشعري"[1]، و ليس من الخفي دور مصر في نشر المذاهب و العلوم بالمغرب، فهي مركز حيوي في الطريق إلى الحج، يأخذ منه الحجيج و طلاب العلم العلوم التي تكمل ما يأخذونه من الحجاز، و كثيرا ما تكون مقصدا للمتعلمين أساسا، و لذلك فقد كان فراغ مصر من الأشعرية عاملا في تأخر انتشار الأشعرية بالمغرب. [2]

رابعا: تمثيل المذهب الأشعري بطابع فردي، و انحصار دائرة تمثيله في دائرة الأصحاب و الأتباع القلائل لا غير.

و لعل إفريقية و الأندلس كانتا أكثر حظا في العلم بهذا المذهب و التأثر به من المغرب الأقصى و الأوسط، يرجع ذلك إلى قيام دولة المرابطين هناك التي عطلت نمو الفكر العقدي في اتجاه التأويل الأشعري، و أبقت على الطريقة السلفية في إمرار النصوص على ظاهرها، ولم يشفع للمذهب الأشعري انتمائه لأهل السنة و محاولته الدفاع عنها و عن العقيدة الإسلامية أمام المالكيين من المغاربة الذين لم يروا فيه و فيمن انتحله غير بدعة من البدع التي أوجب إمام مذهبهم محاربتها و القضاء على أصحابها. [3]

3– مرجعيات الفكر الأشعري عند المغاربة:

3–1– الإمام أبو بكر الباقلاني:

يعتبر الباقلاني من أهم المصادر المعرفية، حيث إن المرحلة الأولى من دخول علم الكلام الأشعري إلى المغرب، أخذت مرجعيتها من هذا الرجل و ذلك بسبب أنه جمع بين الإمامة في الفقه المالكي، و الرياسة في الكلام الأشعري، و لما كانت وجهة الكثير من المغاربة تتجه في المشرق، نحو هذا الرجل، فإن تأثيره الفقهي، لن يكون في معزل عن التأثير الكلامي، مما يجعل دخول فقهه إلى المغرب متزامنا لدخول كلامه. و مرد هذا التأثير يرجع إلى أن جمعا من أولئك الذين مثلوا مرحلة الدخول، كانوا معاصرين للباقلاني، ارتبطوا به بأحد الروابط و الجسور، بحيث كان معظمهم تلاميذ، أخذوا عنه و احتكوا بفكره احتكاكا مباشرا، فكان ترديدهم لهذا المذهب، انطلاقا من

1– المقريزي: المواعظ و الاعتبار ،ج2،ص 358.

2– عبد المجيد النجار: فصول في الفكر الإسلامي، ص 32.

3– عبد المجيد النجار:المهدي بن تومرت، ص: 438، 439.

رؤية باقلانية واضحة. مع ملاحظة أن انتماء المغاربة فقهيا إلى المذهب المالكي، كان عاملا في الترويج للمذهب الأشعري، الذي كان الباقلاني من أساطينه، حيث نقلوا آرائه الفقهية المالكية، و أخذوا أفكاره العقدية الأشعرية.[1]

بيد أن الباقلاني و إن كان قد ترك بصماته واضحة في المرحلة الأولى من دخول الكلام الأشعري إلى المغرب،و مثل سلطة مرجعية قوية، فأن مرحلة التغلغل و الترسيم لهذا المذهب، ستسلم هذه السلطة إلى علم آخر من أعلام الفكر الأشعري، سيفرض حضوره في مجموع المتون الأشعرية المغربية، و في الشروح و التعليقات عليها.إنها السلطة المعرفية لأبي المعالي الجويني،دون أن يعزب الباقلاني من الساحة الكلامية بإطلاق، حيث ظل صداه مترددا، و ظل في نظر كبار أشاعرة المدرسة الجوينية في الغرب الإسلامي عموما، و المغرب خصوصا، فكان فارس هذا العلم، و مباركا على هذه الأمة، و كان شيخ السنة و لسان الأمة،و سيف السنة، و إمام أهل التحقيق و الحق، و لسان الفقهاء و المتكلمين.[2]

3-2- الأمام أبو المعالي الجويني:

إن الكلام على التجديد الكلامي عند المغاربة لا يعني البتة، إيقاع القطيعة مع التراث الكلامي المشرقي. فلا شك أن أساطين الكلام في زمن الإبداع المشرقي كان له عميق الأثر لدى أساطين الفكر الكلامي المغربي، لكن تعاملهم مع النصوص المشرقية شرحا و تعليقا و اختصارا، لم يكن تقليدا و تكريرا. و من نماذج الشرح الذي يهدف إلى الإبداع كتاب" تحرير المقال في موازنة الأعمال" لأبي طالب عقيل بن عطية القضاعي المراكشي، حيث شرح كتاب " موازنة الأعمال" ، و من هذا القبيل أيضا كتاب"الإرشاد" لأبي المعالي الجويني فقد تأثر به متكلموا المغرب، و اعتبروه هو المدخل إلى علم الاعتقاد، و اتخذه الناس إماما لعقائدهم، بل كانت له عليهم سلطة، جعلت منه في نظرهم محور المعتقد الأشعري، و كان يدرس في الصفوف العالية و بذلك تعاملوا معه نظما و اختصارا و شرحا بفهم و بصيرة. فنظمه أبو الحجاج يوسف بن موسى المعروف بالضرير(ت

2- خالد زهري: مستويات الإبداع في علم الكلام الأشعري عند المغاربة(ضمن كتاب:جهود المغاربة في خدمة المذهب الأشعري)، تنسيق مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات و البحوث العقدية،ط1،دار أبي رقراق، الرباط،1433هـ/2012م،ص108.

1- خالد زهري: مستويات الإبداع في علم الكلام الأشعري عند المغاربة ،ص109.

520هـ/1126م) في منظومة عدد أبياتها 1500 بيت و سمها بـ " التنبيه و الإرشاد في علم الاعتقاد"، و اختصره السلالجي في "العقيدة البرهانية" فكان المرجع الأساسي للسلالجي و تلامذته في العقيدة. و لا نستبعد أن يكون محمد " المهدي" بن تومرت لخصه في "المرشدة"، فقد قيل: أنه وسمها بهذا العنوان، لإبتدائها بـ " اعلم أرشدك الله" و هي البداية نفسها التي يبتدئ بها كتاب" الإرشاد" و عليها سمي بهذا الاسم.[1]

3–3– الإمام أبو حامد الغزالي: ظل الإبداع الكلامي عند الغزالي، محط تقدير و عناية و اهتمام عند المغاربة، و دخل متكلموهم و فقهاؤهم في صراعات سياسية حامية الوطيس، انتصارا لفكر الغزالي، حيث كانت الغلبة في نهاية المطاف لهم، و تلقب بعض أساطين علم الكلام المغربي بما يزكي ذلك و يشفع له، كأبي علي حسن بن علي المسيلي(580هـ/1158م)، الذي لقب بـ " أبي حامد الصغير"، و الهبطي الكبير الذي كان يلقب بـ " غزالي زمانه"[2] و رحل المغاربة إلى المشرق، للتتلمذ عليه. و نذكر منهم، على سبيل المثال لا الحصر: أبا الحسن علي بن أحمد الكتاني المعروف بـ" ابن حنين"، و أبا بكر ابن العربي، و أبا محمد صالح بن محمد بن حرزهم، و محمد"المهدي" بن تومرت (لقد صرح أبو حامد الغزالي نفسه بتتلمذه عليه، فقد قال في خطبة كتابه" سر العالمين":"فأول ما استحسنه– أي كتاب سر العالمين– و قرأه علي، في النوبة الثانية، بعد رجوعي من السفر، رجل من أرض المغرب، يقال له: محمد بن تومرت، من أهل سلمية . و توسمت منه الملك" [3]و تلمذة هذا الأخير ، هي التي أعطت المشروعية للفكر الصوفي بالمغرب.[4]

من خلال ما سبق ذكره عن دخول المذهب الأشعري لبلاد المغرب الإسلامي، فقد توصلنا للنتائج التالية:

1- المرجع نفسه،ص110، 111.

2- أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،حققه و علق عليه عادل نويهض، ط2، منشورات درا الأفاق الجديدة، بيروت، 1979م ،ص33؛ خالد زهري: المرجع السابق، ص119.

3- أبو حامد الغزالي: سر العالمين و كشف ما في الدارين، المجموعة السادسة من رسائل الإمام الغزالي، ط1،دار الكتب العلمية،بيروت، 1988،ص03.

4- خالد زهري: مستويات الإبداع في علم الكلام الأشعري عند المغاربة،ص120.

أولا: فرضت الاتجاهات الفكرية التي ظهرت في القرنين الثاني و الثالث الهجريين تحديا عقديا على أهل السنة مشرقا و مغربا، حيث نشطت في الساحة الفكرية آراء و أفكار الفرق المبتدعة، التي تأثر بعضها بالفلسفة اليونانية و غيرها. و شكل ذلك خطرا كبيرا على العقيدة الإسلامية، مما حدا بعلماء المذاهب السنية إلى الدفاع بكتابات و مناظرات، و كان من بينهم الإمام أبو الحسن الأشعري(ت324هـ/935م) الذي تمرس بمناهج المعتزلة العقلية، و كان أحد أئمتها، و كان ذا إلمام واسع بعناصر قوتها و ضعفها، فاقترح منهجا عقديا جمع فيه بين الاستدلال بالكتاب و السنة و بين الاستدلال العقلي، أي قواعد علم الكلام. تكلل هذا المنهج بظهور مذهب عقدي أطلق عليه اسم المذهب الأشعري، الذي عرف انشار و تطورا كبيرا في المشرق الإسلامي بعد وفاة أبو الحسن الأشعري على يد كل من الباقلاني و البغدادي و الجويني و الغزالي الذين طوروا المذهب من حيث أساليبه و منهجيته، و قاموا بنشر الفكر الأشعري في أصقاع العالم الإسلامي عن طريق تلامذتهم فكان المغرب الإسلامي أحد هذه المناطق التي دخل إليها هذا المذهب.

ثانيا: عرف أهل المغرب المذهب الأشعري في فترة مبكرة، ربما و صاحب المذهب على قيد الحياة، و الغالب بعدها بقليل إذا اعتبرنا أن أول من حمل العقيدة الأشعرية إلى بلاد المغرب، هو "أبو ميمونة درّاس بن إسماعيل الفاسي" (ت 357 هـ/967م) ، و خلال هذه الفترة كان هذا الفكر مقتصرا على عدد محدود من الأفراد، ، ليتم اعتناق الطريقة الأشعرية في التصور العقدي مع منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي- أي تقريبا مع بداية العصر المرابطي-. و قد كانت للعوامل الدينية و العلمية، و حتى التاريخية و السياسية، الأثر الحاسم في انتشار و تغلغل هذا المذهب في بلاد المغرب.

ثالثا: تمكن المذهب الأشعري ببلاد المغرب من الانتشار ابتداء من منتصف القرن الرابع الهجري و ذلك بفضل جهود علماء الأشاعرة في نشر عقيدتهم، سواء من علماء المشرق مثل: الإمام الباقلاني، و الإمام الجويني، و الإمام الغزالي الذين سخروا لذلك عددا من الدعاة الذين تفرقوا في العالم الإسلامي مشرقا و مغربا، ووصل بعضهم إلى المغرب الإسلامي. من أمثال عبد الله الأذري و أبا طاهر البغدادي و القلانسي و القابسي و غيرهم كثير، و هنا يبرز تأثير شخصية هؤلاء العلماء الأشاعرة على طلبتهم و تلاميذهم من أهل المغرب.

و في الحقيقة أن الفترة التي عرفت المدشنين الأوائل للفكر الأشعري بالمغرب الإسلامي كانت فترة انتقالية عرفها المغرب الإسلامي على المستوى الفكري، ستشهد صراعا محتدما بين مفكري أهل التسليم والتفويض ومفكري الأشاعرة، وسيتبلور هذا الصراع أكثر في كنف الدولة المرابطية.

فهرس المحتويات:

الرقم	عنوان المحاضرة	الصفحة
01	مدخل في افتراق الأمة الإسلامية	03
02	بعثة الفقهاء العشرة و دورها في انتشار الإسلام بعد الفتوحات	13
03	انتشار المذهبين الصفري و الإباضي ببلاد المغرب (الدعوة- الثورة- الدولة)	19
04	المعتزلة ببلاد المغرب	35
05	المذهب الإسماعيلي من الدعوة إلى الدولة	50
06	المذهب المالكي(دخوله و انتشاره و نضاله ضد المذاهب الاخرى)	78
07	المذهب الظاهري ببلاد المغرب	90
08	المذهب الموحدي في بلاد المغرب	96
09	الأشعرية في بلاد المغرب الإسلامي	103
10	فهرس المحتويات	123

تاريخ الحركات المذهبية في الغرب الإسلامي

أ.د. عبد الغني حروز

المؤلف في سطور

الأستاذ الدكتور: عبد الغني حروز

أستاذ بقسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة، حاصل على شهادة الأستاذية في التاريخ من جامعة محمد بوضياف بالمسيلة؛ باحث في الحضارة العربية الإسلامية في المشرق والمغرب خلال العصر الوسيط، مهتم بتراث الغرب الإسلامي (النقلي والعقلي) ؛ له مشاركات علمية في ملتقيات وطنية ودولية، كما له العديد من المقالات العلمية في المجلات الوطنية والدولية.

منشورات سلسلة الكتب الأكاديمية
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
جامعة محمد بوضياف - المسيلة

الإيداع القانوني: نوفمبر 2022

ISBN: 978-9931-9919-2-2